الأسبوع الأدبي
www.awu.sy
العدد: «١٣٦٠» ١٤/٩/٢٠١٣م-٩ ذي القعدة ١٤٣٤هـ
"السنة السابعة والعشرون"

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

١٦ صفحة
١٥ل.س

عدد خاص بالشاعر العربي الكبير سليمان العيسى

سليمان العيسى - لوحة للفنان د. حيدر يازجي

سليمان العيسى .. جمرة الضاد

و.. ترجّل فارس الكلمات

ثُمالات الشاعر سليمان العيسى

سليمان العيسى .. عطاء بلا حدود

سليمان العيسى .. المعلم

سليمان العيسى بين الأدب والحياة

النعيرية تحتفي بشاعرها العربي الكبير سليمان العيسى

سلامٌ على شاعر الطفولة والعروبة

سليمان العيسى في الذاكرة

رحلة في شعر سليمان العيسى

في النعيرية مسقط رأس الشاعر الكبير سليمان العيسى في لواء اسكندرون

عدسة د. نزار بني المرجة

رحلة في شعر سليمان العيسى

• راتب سكر

نسج الشاعر سليمان العيسى أقنعته الفنية من خيوط الصور المتخيلة لأعلام الشعر العربي القديم، مثل امرئ القيس والمنخل اليشكري وأبي نواس والبحتري وديك الجن وأبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهم، وتأثر البناء الفني للقناع في قصائده بهواجسه القومية التي سيطرت عليها من حين إلى حين طوابع تعليمية غير خافية، فقادته إلى التفصيل في الخبر التاريخي المرتبط بالقناع الفني، مما يأتي شرحه ودرسه في مبحث خاص مناسب.

كان الشاعر سليمان العيسى واحداً من الشعراء الذين اجتهدوا لتحقيق المعادلة الصعبة بين الشروط الفنية للشعر ورسالته الاجتماعية، وقد بنيت تلك الشروط في المعمار الفني لقصائده على عناصر متعددة، أهمها رؤيته الخاصة للعلاقات اللغوية الرمزية في صلاتها المتدرجة بالرمز والقناع والمرايا، تلك الصلات التي تبقي حدودها الفنية غير مستقرة تحت وطأة الهواجس القومية للشاعر الذي ظل حريصاً على نقل جذوة معارفه وفنه إلى مستقبليه، وقد عبر عن حرصه هذا غير مرة بشعره ونثره بمثل قوله في ديوانه «رمال عطشى» :

«حسب لحن ينتهي في وتري أنه في صدر غيري يبدأ «

أما الرموز الفنية التي حافظت على إشعاع دلالاتها في مسيرته الشعرية الطويلة، فمتعددة، ويأتي في مقدمتها، مفهومه لرموز «الفتح والصحراء والرمال» وما تشع به من إيحاء بمواكب انطلاقة الحضارة العربية في عصورها الزاهية.

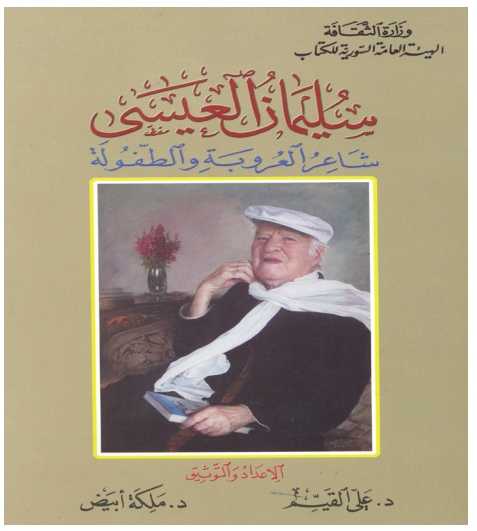

رموز فنية ذات دلالة :

يلاحظ قارئ شعر سليمان العيسى طوابع أسلوبية أكسبها إلحاحه الطويل على مضمونات محددة، سمة إيقاعية الدلالة. فالشاعر الذي «بقي لأكثر من نصف قرن يتغنى بحلم واحد، هو العروبة» (٢). على حد تعبير الأديب اليمني عز الدين علي أحمد، ربط الرموز الفنية لقصائده بينابيع تناسب رفد ساحات ذلك الحلم ورؤاه، فتكررت رموز «الفتح، والصحراء، والبادية». على سبيل المثال لا الحصر. في تلك القصائد منذ انطلاقتها المبكرة في منتصف الثلاثينات حتى أيامنا من مطلع القرن الحادي والعشرين، وظل تطلع الشاعر إلى بعث فتوحات أمته. بدلالاتها على النهضة والمجد. يرافق خطابه الشعري القومي منذ بداياته مع قصيدته «الثورة» بمثل قوله:

«يا توتة الدار.. يا عصفورها الشادي ردي إليّ فتوحاتي وأمجادي
عروبتي في دمي.. لا تيأسي أبداً غداً أحطم أغلالي وأصفادي»

وظل ذلك التطلع هاجسه الشعري في قصائده الكثيرة، حتى راح ملايين العرب بين محيطهم وخليجهم، يتغنون ببيته الشعري الشهير:

«أمة الفتح لن تموت، وإني أتحداك باسمها يا فناءُ»

وتأتي رموز الصحراء والبادية والرمل محمولة في سياق مواز للفتح والفتوحات ضمن التعبير الشعري عن الحلم العربي الذي استمر الشاعر يرتل قصائده في محراب الحياة أكثر من خمسة وستين عاماً. ولعله من المناسب الإشارة في هذا المقام إلى أن الشاعر سليمان العيسى الذي قدم في حياته تطابقاً فريداً بين قيم قصائده وقيم سلوكه في حياته اليومية، سمى ابنته الوحيدة «بادية»، وحملت حفيدته اسم «رملة»، وهما اسمان يعبران عند التداخل العميق بين القصيدة والحياة في تجربة سليمان العيسى، هو الذي استمر طويلاً يربط ذاته بأمته. عبر رموز الصحراء والبادية وغيرها. ربطاً مصيرياً، كقوله في ديوانه «رسائل مؤرقة» عام ١٩٦٠»:

«أنا جار هذي البادية وتعيش في أعماقيه
أبصرت فيها ذاتيهْ نعمى، وبؤسى دامية
أحببت مثلك مرةً أحببت هذي البادية»

ومن المرجح أن قصيدته «رجع من البادية» المكتوبة عام ١٩٩٧، تتوج رحلته الطويلة مع مثل هذه الرموز الفنية، وتعبر عن توقه الحميم الذي لم يرتو وهو ينهل من ينابيع التغني بالنهضة العربية الأولى في ارتباطها بالصحراء و «جنبات البادية»، وهو تغن يؤكد قيم الهوية في رسالته الشعرية، ويضرب الأمواج العاتية بمجداف الفن ورموزه بحثاً عن شاطئ الحياة العزيزة الجديرة، بتلك القيم ونبراسها، وهي جدارة مرتبطة بالحياة ذاتها، ما دام الانتماء إلى البادية والرمال متجذراً يقص تاريخ صراع الإنسان في سبيل وجوده، يقول الشاعر بصور تطلع من وراء القناع الفني لشخصية «الأصمعي» – العلم المعروف في التراث العربي- :

« أوجزت فيها
قصة الصراع بيننا
وبين هذه الرمال التي
ثبتنا أقدامنا عليها،
ومددنا جذورنا فيها»

إن ثنائية الرمال. الجذور في علاقة طرفيها ذات العمق التاريخي، تعبر عن الدلالة الرمزية لصورة الرمال في ارتباطها بقيم الهوية والانتماء، وهو ارتباط يتكرر في قصائد الشاعر سليمان العيسى مؤكداً السياق الفني للفظ «الرمال» في بناء صورة فنية رامزة لقيم التاريخ العربي القديم في انطلاقته الحضارية الوثابة التي يلح الشاعر على التغني بها، معوضاً خساراته الجسيمة في واقعه العربي المهيض الجناحين من جهة، وحالما في انبعاث تلك الحضارة على دروب مستقبله المنشود من جهة أخرى. وفي ضوء السياق الفني السابق للمفوظي «البادية والرمال» يصبح الرمل رمزاً فنياً قابلاً للتعبير عن الرؤية الشعرية لثنائية الماضي والمستقبل اللذين يشكلان طرفين خطيري الشأن في الصراع الحضاري للخطاب الثقافي العربي منذ نهضته الحديثة، فلا عجب أن يكتب الشاعر العيسى في عام ١٩٩٨ قصيدة. ومضة تختزل قصة الصراع المذكور، وتحمل تأكيداً جديداً لعلاقة لفظ «الرمل» بمرموزه الفني، فيقول تحت عنوان «رمل العرب» (٧):

«شتمناه
حتى استحال الكلام
رغاءً
وحتى مسخنا الغضب
•••
ومازال يختزن المستحيل
ويمسح رأس بنيه العرب»

لا يغدو الرمل الذي «مازال يخزن المستحيل»، مجرد ظاهرة جغرافية أو طبيعية، فهو مسكون برمز فني يفيض عن مرجعية تاريخية، وهو إذ يحيل إلى الصحراء، لا يبتعد عن الاقتراب من المعادل الفني لتاريخ العرب وهوية انتمائهم الحضاري في أبسط معالمها الفطرية الأولى التي تنبض بالشعر والموسيقى وهي تتوثب بحدائها على دروب المستقبل، ولعل التوثب القومي الحضاري إلى مستقبل منشود أزهى، هو العنصر المقصود الأساس بمثل هذه الرموز الفنية المتكررة بطيوف إيحاءاتها في قصائد الشاعر سليمان العيسى.

المقابلة والتضاد :

شارك سليمان العيسى منذ نشأته أيام الدراسة الإعدادية والثانوية في الثلاثينات والأربعينات في النضال الوطني ضد الاحتلال الفرنسي لبلاده، ويتحدث في أدبه عن تعرضه للسجن في هذا السبيل، ومن ذلك ما عقب مشاركته في توزيع منشور ضد الفرنسيين.

«كان عنوان المنشور.. يقول: (اخرجوا من بلادنا أيها الفرنسيون)، وعدنا إلى بيتنا الصغير لنجد رجال الأمن بانتظارنا، ألقوا القبض على أربعة منها، وتوارى الباقون. وكنا أول أربعة من البعثيين دخلوا السجن».

من تجارب السجن، لون الشاعر قصائده بألوان تحمل نبض الإنسان في مواجهة الظلم، فقد «دخل الشاعر سجن المزة العسكري في دمشق، مع عدد من رفاقه في كل أنحاء سورية، في عهد الشيشكلي، خرج منها بديوانه المعروف (شاعر بين الجدران)».

كتب صديقه عبد الفتاح زلط للديوان المذكور مقدمة لاهبة الحروف في سبع صفحات، تعد شهادة، سياسية خطيرة عما تموج به الأفئدة في تلك الأيام من عام ١٩٥٤، يضم الديوان ثلاثة عشر نشيداً من مجزوء الكامل، فالديوان قصيدة متكاملة في ثلاثة عشر مقطعاً، سمى كلاً منها نشيداً، وجعل له عنواناً مستقلاً. أما موضوعات هذه المقاطع أو الأناشيد، فتشكل لوحات جزئية من لوحة شاملة تنسج ألوانها قصة اعتقال الشاعر في حلب وسوقه موقوفاً إلى دمشق، ومعاناته ورؤاه بين النظارة والسجن، يقول:

« أنا في الطريق إلى دمشق، وما سئلت لكي أجيبا
ووراءي الشهباء يحمل صدرها صمتاً رهيباً»

النشيد الأول بعنوان «نجوى» مسبوقة بمقدمة توضح أن جريدة «النقاد» تسللت إليه في ظلمات السجن «وإذا العدد يحمل غزلية قديمة له.. تعلوها صورة حسناء فاتنة. ونظر ملياً إلى الصورة، ثم نظر إلى القصيدة المنشورة تحتها.. ثم انطلقت هذه الأغنية، وهي أغنية تحقق شرطها الفني الأساسي على التضاد القائم بين جمال المرأة وسحر الشعر بها وبين ظلمة السجن المخيم على لحظة رؤيتها في نشيد جديد، ويأخذ هذا التضاد الفني بعداً صريحاً في النشيد الثاني الذي يستمر صوت الشاعر. السارد فيه مناجياً المرأة. بطلة القصيدة القديمة المتسللة إلى الشاعر على ورق الجريدة في ظلمة سجنه، يقول:

« هاأنت.. لو تدرين أين الآن شاعرك المجيدُ ؟!
من أين يرسل همسه شعراً، ليحضنه الخلودُ!
من أين يخترق الظلام مزغرداً.. هذا النشيدُ « .

إن المقابلة الفنية غير المعلنة بين واقع السجن المظلم، وصورة الحلم المشرق تقوم على إضاءة الكلمات بجمال المرأة والحب في النشيدين الأول والثاني، وتجعل الفن ومناجاته معادلاً جديداً للخير والجمال في النشيد الثالث، فكأن الشاعر الراغب في كسر قيده، يصوغ علاقاته بالمرأة والجمال والفن صوراً يعلو بها على قضبان سجنه، هازئاً من عليائه بجلاديه هزءاً غاضباً، يرسمه الشعر بألوان لوحاته من دون أن يقوله، فلنسمع مثل هذه الصرخة المعبرة المحمولة على خطاب الشاعر للفن:

«أنا عند سرك في الوجود -ولست في قيدي - سجين
يا فنُ.. يا رعش الألوهة في دمانا.. يا جنون»

غير أن التضاد المشار إليه في الصور السابقة يصل في النشيد الرابع إلى مقابلة صريحة ساخنة لا تقبل التأجيل بعد التلميحات المتتابعة من قبل، فيعلن الشاعر موازنة طرفي المقابلة صراحة بقوله:

«هاأنت تبتسمين يا عذراء أمسي.. في مراح!
وأنا، وشعري في الجريدة ساهران إلى الصباح»

بمثل هذه الموازنة الملحة على طوابع التقابل والتضاد بين حالتي طرفيها، يتوج الشاعر اللوحة السابقة التي ترسم معاناته في السجن، لينطلق في النشيد الخامس إلى صياغة معادل للقيم التي يؤمن بها، ويتعرض للأذى من خصومها، أولئك الخصوم الذين كواهم كاتب المقدمة. عبد الفتاح زلط. بجمر غضبه في سطور مقدمة الديوان. إن انتقال الشاعر سليمان العيسى إلى موضوع جديد، يتحول معه من لغة المخاطب المنطلقة بصوت الذات في مناجاتها المرأة أو الفن، إلى لغة السرد الذي يجعل من صوت الشاعر سارداً خارجياً يصف حاله، وبهذا التحول تتوفر للمقابلة فرصة جديدة، ما دام السارد الخارجي ذا مقدرة جديدة على الخوض بعيداً في رسم صورة الشاعر المكابد طرفاً من طرفي المقابلة بين المناضل السجين وحلمه، يقول صوت السارد المنبثق من صوت القصيدة:

«ملقى على خشب «النظارة»، في عباب الحلم سادرْ
هو في دمشق.. وتارةً في الرافدين.. وفي الجزائر
يطوي الغيوب بلمحة ما بين خاطرة.. وخاطر»

سـليمان العيسى

" أنا خليّة في جسد عربي "

• مالك صقور

متوهج الفكر، متقد الوجدان، مرهف الحس، خصب الخيال، حاضر القريحة، ثوري النزعة، راسخ المبدأ، واقعي الاتجاه، بعثي العقيدة، عربي القومية.

ذلكم هو سليمان العيسى الذي يحتل الصدارة في صف الشعراء العرب.

سليمان العيسى: واحد من أبرز شعراء في القرن العشرين، في الوطن العربي، اجتازت قصائده التخوم والحدود.

دوّى صوته مجلجلاً في أرجاء الوطن العربي الكبير، منددا بالاستعمار والاستبداد، والاقطاع، مبشراً بالثورة، داعياً إلى الوحدة العربية، منشداً أمجاد الأمة، مستنهضاً الهمم من أجل التحرر، والتقدم، والعدالة، وإنصاف المظلومين وفقراء القاع، ولكي يحتل الإنسان العربي مكانه تحت الشمس.

لقد ارتبط اسم سليمان العيسى بوجداننا مُذْ كنا طلاباً، وحتى الآن: بالوطن، بالأرض، بالتراب، بالثورة، بالعروبة، بالبعث، بالنضال من أجل الحرية، والكرامة الإنسانية، والخبز. وقصائده الوطنية، والقومية، والثورية، والوجدانية، ومقالاته ومسرحياته، وما كتبه بقلبه ودمه وعقله للأطفال خير شاهد وبرهان على ما أقول.

•••

وإن تنبأ أبوه، أنه سيكون شاعراً ذا شأن – وهو ما زال صغيراً – لم يكن أحدا من أترابه، وأبناء قريته الصغيرة يعرف أنه بفضل هذا الفتى الناحل الذي يرتدي القنباز الطويل، ستدخل هذه "النعيرية" التاريخ، وسيردد الطلاب، والأساتذة، ومؤرخو الأدب والقراء اسم هذه القرية التي لم تكن تتجاوز العشرين بيتاً، لأنها مسقط رأس الشاعر الكبير، وأن هذه القرية التي رسمها بالكلمات وطالما، ذكرها، وكتب عنها، قد حملها على كتفيه وطاف بها الدنيا.

ولئن انتزعت هذه القرية من رحم الوطن الأم، لم يستطيعوا أن ينتزعوها أو يمحوها من قلب وعقل وضمير وقلم شاعرنا الكبير.

مبكراً جداً، وعى سليمان العيسى معاناة الفلاحين جراء ظلم "الآغا" لهم، وهموم فلاحي قريته الفقراء تمثل هموم فلاحي الوطن الكبير، وعرف بفطرته، أن هذا الظلم المحيق بأبناء وطنه، لن يزول، إلا بالثورة، فلم يستسلم للحلم والقول، بل قرن القول بالفعل، وراح ينشر أفكار البعث، ويوزع أدبياته بحماسة منقطعة النظير، أدخلته السجن.

ومبكراً جداً، عرف أن قوة العرب في وحدتهم، فناضل من أجلها. ولقد تحقق حلم الوحدة العربية، لكن سرعان ما انكسر الحلم، وانتصر الرجعيون الظلاميون الانفصاليون ونفذوا مآرب الصهيونية والإمبريالية والرجعية العربية التي رأت في الوحدة خطراً عليها.

وتحقق حلمه بانتصار الثورة، ووصل البعثيون إلى السلطة، في قطرين عربيين متجاورين ومن غير أن نغفل المنجزات والمكتسبات.. لكن المؤسي والمؤلم، والمضني، بقيت التجزئة، والتبعية، والتشتت، والجهل، والفقر والأمية، هي القوة المستبدة بمصير الملايين من أبناء هذه الأمة من الخليج إلى المحليط. وسليمان العيسى كان الشاهد الذي اختزل بأشعاره المختلفة، وقصائده الحماسية هذا التاريخ الذي يمكن أن يكتب عنه مجلدات كثيرة.

•••

"موكب النور" هي أولى القصائد التي عرفتني بالشاعر، وجعلتني أتعلق به، وأبحث عن آثاره. وما زلت أحتفظ في أوراقي القديمة، بخط يدي، بهذه القصيدة، كما أملاها مدرّس اللغة العربية قبل اثنين وأربعين عاماً. هذه القصيدة ما تزال طازجةً، ما تزال كلماتها تنبض بالأمل، بالألم، بالثورة، بكسر النير، وانتصار الحق، القصيدة طويلة، اقتطف منها هذه الأبيات:

يلقاكِ بالدمعِ دمعِ الثورةِ الألمُ
يا أمةً في الزنود السمر تبتسمُ
هتفتُ بالشعر فانهالت على شفتي
خُطا الضحايا ومات الشعر والكَلِمُ
ورحتُ ألمحها في الدرب قافلةً
عطشى تصارع فيها الفجر والظُلَمُ

تشد بالكبد الجوعان.. خطوتها
وبالعقيدة، لا شكوى، ولا سأمُ
هتفت بالشعر استقيه قافية
حمراء فانفجرت في أضلعي الحممُ
ولاح موكبيّ الماضي بجبهته
عضُ القيود، وتسعُ السوط يرتسمُ
وهزني في حديد السجن قهقهة
من الرفاق.. عليها الموت ينحطمُ
ووالغٌ في دم الأحرار طاغيةٌ
ما زال من شبح الأحرار ينهزمُ
وعاملٌ أسمرُ الزندين منتفضٌ
في كوخه ما يشاء البؤس والعدمُ
وقبضةٌ فوقَ محراث مشققةٌ
حصادها الجوع بعد الكد والسقمُ
يا موكبَ النورِ لن نلوي اعنتنا
فاهدرْ، مُنى الجبل في جنبيك تضطرم
ونحن من شاطروا الأنعام مرقدها
في الطينِ.. نحن صباح الثورة الأممُ
للمعولِ الصَلْدِ عهدٌ في سواعدنا
أن لا يَقرّ وفي هذا الثرى "صنم"

نشرت هذه القصيدة في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، بعد جلاء المستعمر، ونيل الاستقلال، وبدأ المناضلون يهيأون للثورة، من هنا، في هذه القصيدة، تذكير بالماضي وخطا الضحايا، الكبد الجوعان، عضُ القيود، لسوع السوط، الطاغية الذي يلغ في دم الأحرار، وبالمقابل قهقهة الرفاق وسخريتهم من السجن والجلادين، والعامل القوي، والفلاح المتشبث بمحراثه وأرضه. لقد عوّل سليمان العيسى على الكادحين من عمالٍ وفلاحين، وهو ابن الفلاح، الذي خبر بنفسه شقاء هذا الإنسان الذي يعطي أكثر مما يأخذ...

"الإزار الجريح" هو الأثر الأدبي الثاني الذي درسناه على مقعد الدراسة في المرحلة الثانوية.. (الإزار الجريح – ابن الأيهم) مسرحية شعرية، لم تظهر براعة سليمان العيسى في الشعر، وطواعية القافية فحسب بل أظهرت فهمه الصحيح للتراث، والمجد الغابر، والعبر من التاريخ وكبرياء الملوك. ومأثرته في هذه المسرحية، تجلتْ في تجسيد الحادثة التاريخية، في حكم الفاروق العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومساواته بين جبلة بن الأيهم الملك الغساني وبين الإعرابي الفزاري، وكيف تساوى عند الفاروق عمر، الملك والعبد. لقد التقط سليمان العيسى هذه الحادثة التاريخية، وصاغ مسرحيته شعرية رائعة، فكان فيها التاريخ، الذي يتضمن الماضي الغابر، ومجد الملك الصلف المتباهي، وشاعرية حسان بن ثابت، والنابغة الذبياني، وفتح دمشق، واللقاء الشهير، بين هذا الملك المتعالي، وبين الخليفة العادل بالمظهر البسيط المتواضع. وما أكثر العبر وأقل الاعتبار.

•••

لقد آلم سليمان العيسى، كما كل الأحرار العرب، ما يحيق به وطنه، مذ كان يافعاً، كيف انتزع من قريته ولوائه، وتوالت بعدها النكبات والهزائم لكن سليمان الشاعر، المناضل، والإنسان، لم يحبط، ولم يدخل اليأسُ قلبه، وبقي مؤمناً بمبدئه وعروبته، وقوميته، لا بل ما زال متفائلاً، رغم كل السنين على كتفيه. ومن بعد الأحداث الجسام، والخيبات الكثيرة المتلاحقة في تاريخ العرب، جاءت حرب تشرين، التي أحدثت انعطافاً في تاريخ العرب الحديث، وإن لم يتم النصر إلى النهاية، وإن لم تتحرر الأرض كاملة، إلا أنها أثبتت أن العرب ينتصرون لو أرادوا، وكانت المبادرة منهم، وحسبها أنها حررّت المقاتل العربي من وهم قوة العدو، كتب شاعرنا يقول:

على أقدامِنا سقطَ المُحالُ
وأورقتِ الرجولة والرجال
كتائبُ من ترابك يا بلادي
نبتنا .. من صمودك ما نزال
نداءُ البعث في دمنا، وغنّى
على الجولان واخضرّ القتالُ
مشينا فالصواعق في خطانا
وعشب القادسية والظلال
ربطنا الخندقين(١) فلا اغتراب
بتاريخ السيوف ولا انفصال
دم الشهداء ينبت في رُبانا
قناديلاً يضيء بها النضال
كما كتب عن الشهداء الخالدين، قال:
ناداهُم البرق.. فاجتازوه وانهمروا
عند الشهيد تلاقى الله والبشرُ
ناداهُمُ الموت فاختاروه أغنية
خضراء ما مسّها عودٌ ولا وتر

ولا تزال قصيدته عن المجاهد الكبير الشهيد عمر المختار ماثلة مدوية:

دمك الطريق وما يزال بعيدا
علّق برمحك فجرنا الموعودا
دمك الطريق ولو حملنا وهجه
أغنى وأرهب عدة وعديدا
اضرب بحافر مهرك النيرَ الذي
ما زال في أعناقنا مشدودا

سبعون عاماً ونيف، والأستاذ سليمان العيسى، ينشد، سبعون عاماً وهو يرّج المياه الآسنة ليزيل الطحلب، سبعون عاماً، وهو يقول ويردد:

"أنا خلية في جسد عربي تبحث عن ملايين الخلايا من أخواتها، لكي يتحرك الجسد وتبعث فيه الحياة". وعندما سئل عن القومية قال: "هذا سؤال لا يسأل وأمر لا يناقش. تؤمن بالقومية؟ أنت تؤمن بجلدك ولون عينيك وتنفسك، لأنك لا تستطيع تغييره، أنا العروبة بالنسبة لي تعنى نبضي، كياني، وجودي، القومية وجودي على الأرض. فأنا عربي، ولا أستطيع أن أكون غير ذلك، العروبة الماضي والثقافة، والحاضر، والمستقبل.. العروبة ليست ثوباً نرتديه، إنها حقيقتنا".

•••

رحل الشاعر الكبير ولم يكحل عينيه بوحدة العرب التي آمن بها وناضل من أجلها، طيلة حياته... رحم الله شاعرنا الكبير

---

١ –خندق المدينة، وخندق الجولان.

ثُمالات الشاعر سليمان العيسى

• باسم عبدو

ثلاثة أجزاء أو ثلاثة ثُمالات من الشعر والنثر، أنجزها الشاعر الراحل سليمان العيسى في اليمن، في ٩٢٠ صفحة من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة- الهيئة العامة للكتاب – اليمن.

لن ينضب مداد الشاعر، ولن تغلق الذاكرة بابها ونوافذها، فبقيت مشرَّعة على الفضاء، تستمد عطرها من حياة الناس والطفولة في وطن خيّر وأرض خصبة تعطي ولا تأخذ..أعطاها (أبو معن) الكثير خلال تسعة عقود ونيّف.. هذا الطفل القادم من (إسكندرون)، الذي افتتح ثمالاته بهذه الأبيات:

ثمالاتٌ.. أقطِّرُها
وأبحثُ عن فمي فيها
غلالاتٌ.. تزيدُ خُطاك
في صحرائها تيها

لقد سجَّل تاريخ الأدب بحروف ذهبية، اسم شاعر كبير عرفته أجيال من الوطن العربي في جهاته الأربع.. كتب عنه مئات المقالات والدراسات، وكتب عنهم (نثراً وشعراً) واستقدم نبلاء الشعر من عصور خلت.. وكان لأصدقائه حضور في كتبه ودواوينه.

بداية كانت افتتاحية (ثمالات) بقلم نجل الشاعر الدكتور(معن)، الذي لبَّى طلب إحدى الصحف العربية، فقال عن أبيه: النادر في شخصية سليمان العيسى هو ذلك المزج العجيب بين (البساطة) التي تصل إلى حد البراءة المطلقة، وبين (العمق) الذي يجعله كنزاً معرفياً وإنسانياً وفلسفياً ولغوياً يسير على قدمين.

وعلى هامش هذا الحديث قال الأب:

كان البريقُ غطاءً للأولى فرغوا
من الحدائق في أعماقهم أُنُفَا
ما زلتُ أقطف من صدري وأنثره
لكي أرى كلَّ محروم معي قطفا

لم ينسَ الشاعر التراب الذي رسمت عليه أقدامه أشكالها، ولا دار المعلمين في بغداد التي تعلَّم فيها، ولا الصحن الذي أكل منه.. فقد أودع محبَّته في الأمكنة التي عاش فيها، وترك في كل شبر منها صديقاً .. وعرَّشت دالية الأصدقاء في صنعاء ودمشق وبغداد، وأعطت ثماراً لذيذة وأنتجت ذكريات لم تقدر الرياح العاتية أن تسقط أوراقها وتكسّر أغصان الأشجار الواثبة على ضفاف الأنهار العربية.

يردُّ الشاعر في (همسة حب بغداد) الجميل إلى بغداد، التي احتضنته طالباً في دار المعلمين. ومنذ اليوم الأول التقى على بابها (أنشودة المطر).. التقى الشاعر القادم من البصرة، من (أبي خصيب) بدر شاكر السيَّاب.. يقول: بغداد تحنو على أحلامنا وتفتح لنا ذراعيها وتقول:

هذه هي الطريق.. أيها الفتيان
خطوة على الريحان..
وعشرٌ على الشوك والجمر..
ونلقي بأعمارنا الغضة في اللّجة
ويبقى لنا المنقذان الساحران: اللذان لا يهزمان..
يبقى لنا "الحب والشعر"

إن شاعر الأجيال العربية وشاعر القومية العربية،

حمل في قلبه هموم الوطن وأطلق نفحاته الإبداعية في حقول الفلاحين وبيوت الفقراء وحناجر الأطفال. وقال عنه صديقه الوفي الشاعر عبد العزيز المقالح (هو الذي يقاوم التشظي والتبعثر ويسعى إلى خلق حالة الوئام والانسجام مع نفسه أولاً، مع وطنه الكبير ثانياً، ومع عصره ثالثاً).

وظل الشاعر يوزع همساته على مدن اليمن فأرسل (همسة حب إلى تعز).. يقول:

على الشرفة..
أعود بومض بارقة.. إلى الشرفة
على قدميَّ يمتدُّ الضباب
وتلمع الخضرة
وتمتزج الحجارة والحصى، والطين

ويبدأ الناقد العراقي حاتم الصكر مقالته بعنوان (عمرٌ معشبٌ بالطفولة)، بالسؤال: متى تعرفت على شعر سليمان العيسى؟

ويجيب قائلاً: كان في (قصائد عربية) يغذي صبانا ومراهقتنا باندفاع عجيب لحب هذا الوطن الممتد كالتابوت بين المحيط والخليج.. عذب العبارة، إنساني النزعة، يكتب للأطفال أعذب الأشعار وقصصاً ووصفاً، وطنية وحبّاً.. يكتب الشعر الحر إلى جانب الشعر العمودي!

ويتابع.. شاعر يكتب لبغداد ولفلسطين، كما يتذكر اللواء السليب (إسكندرون).. وأطرف ما في (ثُمالات)، أنها تضم خواطر وقصائد قصيرة جعلها الشاعر تحت عنوان (نوافذ أطلّت منها). وكأنَّ ما يكتبه الآن إنما هو (ثمالة) في كأس شعري مترعة، ولكنها (ثمالات) تختزل ما في الكأس، تتركز بكثافة وقوة لتغدو أغنى أجزاء الكأس وأكثرها دلالة..

لقد عبَّر الناقد (الصكر) أجمل تعبير عن (ثمالات) العيسى التي ترسَّبت في قاع كأس الحياة. فالثمالة هي الماء القليل الذي يبقى في أسفل الحوض او الاناء. وثمالات الشاعر باقية في ذاكرات الشباب والأطفال، فهي زوَّادة مخبَّأة في محفظة الترحال والسفر، تنتقل من جيل إلى جيل ومن حقل إلى حقل ومن مدرسة إلى جامعة ..وهكذا.. رحل الشاعر وترك لنا (الحُبّ والشعر).

يخاف الشاعر أن يسرق الليل منه هذا السكون الجميل وهو يودع نهار عمل وتعب. لذا ينادي الليل ويقول له:

هنيهةً يا ليل.. لا تنسحبْ
ويرجوه أن يدع له :
بُحَّةً في الكمانْ
وقطرة في الكوب
أسقي بها
آخر وهج في دم العنفوان

وحفرت أهداب أطفال قانا في ذاكرة الشاعر نهر دماء. وجمع دماء أطفال العراق في كفّيه حنّاء لعرس قانا.. وكسر آخر الدنان فرحاً بالانتصار القادم.. يقول:

أطفال قانا..
عشبٌ برّيٌّ
يقصف، ويحرق، ويقتل
لا يأبه له أحد
ولا يدخل في حساب أحد

وفي تصنيف الشعراء من الناحية الإيديولوجية، هناك من يصنف شعر سليمان العيسى ضمن شعر الإيديولوجية القومية. ويرفض الشاعر هذا التصنيف، بل وينفي هذه (التُّهمة) نفياً قاطعاً. ويؤكد أنه لم يرتبط بأية إيديولوجيا. ويقول: لم أحمل أية أيديولوجيا بالمعنى السياسي في يوم من الأيام، ولكني حملت القضية العربية كما تحمل جلدك ولون عينيك، وتنفسك!

وكتب الأديب سليمان العيسى تحت عنوان (إيديولوجيا) يقول:

لقد التزمت الهم القومي من تلك الفترة المبكرة، لأني وجدت فيه الحلم الذي يستحق أن يعيش الإنسان من أجله، وأن يكافح لتحقيقه.. ولم يكن الشعر إلاّ وسيلة من وسائل الدفاع عن وجودي العربي.

شارك الشاعر بعشرات المهرجانات والندوات وألقى قصائد في رثاء أصدقاء وأحبة.. ووفى ديناً للأصدقاء من إبداعاته الشعرية الجميلة. هو شاعر ارتبط بالتراث وكانت ذاكرته الحية تسطر ما يلهمه العقل. ففي قصيدة بعنوان (أغنية إلى الرُّميكيّة) أنشدها في مهرجان المعتمد بن عبَّاد في مراكش عام ١٩٩٥ . والرُّميكيّة هي زوجة المعتمد بن عباد. قيل إنه صنع لها بركة من المسك والكافور في حديقة القصر، لتخوض فيها حين اشتهت ذات يوم أن تخوض بقدميها في الطين... يقول:

تحاصرني الرُّميكيّة
بضحكتها.. وعينيها
وبالمطر الذي ينهلُّ شعراً،
كلما نشرتْ على أفق جناحيها

وكان القمر الذي يضفي على الليل سحراً، ويضيء الفضاء والأرض، يبعث الغبطة في قلوب الناس، الذين يستقبلونه بفرح ليس خوفاً منه، بل عشقاً وتقديراً لنوره إن كان هلالاً أو بدراً.. وفي قصيدة بعنوان (نشيد للقمر العربي) هذا المقطع:

في قلب هذا العالم الفسيحْ
لنا رؤى ومطمحُ
نريدُ هذا الكوكبَ الجريحْ
زنابقاً تفتّح
وبسمةً تَنْدَى بها القلوبْ
ويضحكُ الأطفالُ للقمر

عشرات القصائد في (الثّمالات) وعديد المقالات التي كتبت عن الشاعر، خاصة ما كتبته الدكتورة ملك أبيض (زوجة الشاعر) وهي أيضاً أديبة وناقدة معروفة وأستاذة أمضت سنوات في جامعة دمشق وجامعة صنعاء.

وكتبت مقالة بعنوان (سليمان العيس في ثمالاته الثانية)، التي تضم نتاجه الشعري والنثري، خلال سنة واحدة (٩٧ – ٩٨). وترصد في هذه المقالة الطويلة، يوميات الشاعر الذي يجلس في الصباح ليخط ما يعتمل في فكره ووجدانه.

ولا بدَّ من القول إن للشاعر أصدقاء أمريكيين، جمعتهم علاقات صداقة توطدت مع الزمن، فأنشدهم (بطاقة في سبعة أبيات).. وجهها إلى (بول فندلي) النائب في الكونغرس الأمريكي، الصديق للحق العربي. والصديق الثاني هو (إبراهام لنكولن) محرر العبيد في أمريكا.. قال في هذه البطاقة:

من صوت لنكولن في عينيكَ كوكبةٌ
من النجوم، وفي كفّيك قيثار
ماذا تغني؟
سينهال الحديد على
لحنٍ شجاع تناجيه، وينهار

هذه هي الثمالات التي أبدعها الشاعر أثناء إقامته في صنعاء، أستاذاً في جامعتها.. وجمع حوله أصدقاء كثر أخلص لهم كما أنهم أخلصوا له. وتوطدت العلاقات بينهم وامتدت على مدى سنين طويلة..

لقد قدم الشاعر والأديب سليمان العيسى، للمكتبة العربية كنزاً من الإبداع سيظل ذخراً لوطنه وأمته..

و.. ترجّل فارس الكلمات

• فاديا غيبور

في حضرة غياب الشاعر الكبير سليمان العيسى يتوهّج القلب والعقل ليلتقيا في مساحة الذاكرة التي أطلقت العنان لقراءة السنوات الرمادية التي مرّت قبل حرب ١٩٦٧م وما خلفته بعدها من جراح غارت في صدورنا ولّما تزل بانتظار الفرسان الذين صمموا ذات يوم على تحرير الأرض الفلسطينية ومقدساتها التي تسرق أمام عيون الإخوة العرب وبمساعدة بعضهم على نسيان جراح الماضي والأرض الفلسطينية التي باتت يتيمة أو شبه يتيمة. وفور سماعي نبأ وفاة الشاعر العربي الكبير سليمان العيسى وجدتني أردد مطلع إحدى قصائده التي أهداها إلى الشهيد البطل عبد المنعم رياض.. ومطلها:

بيضاء شامخة الأسى سيناء
تسقى بجرحك روعة وتضاءُ
يا فارس الصحراء يقتلها الظما
والتبر روّاحٌ بها غدّاءُ

لا أنسى ما حييت هذه الكلمات وما حملته من معاني تضجّ باللهب المقدس وتذكّرني بعقود خلت تفتح أمام ذاكرتي مساحات رحبة من الشموخ العربيّ الذي كان منطلق العرب إلى تحرير الوطن المحتل "فلسطين" ومحو نكبة عشرين عاماً امتدت بين عامي ١٩٤٨و١٩٦٧م..

وحين اندلعت حرب عام ١٩٦٧م أحيا بعض شرفاء الأمة العربية في ذلك الزمن فكرة تحرير فلسطين التي سُرقت من أبنائها الشرعيين بجهود الدول الاستعمارية التي راحت تلفظ اليهود الموجودين على أرضها وتشجعهم على الرحيل إلى فلسطين. أرض الله الموعودة. لبني إسرائيل وفي طليعة هذه الدول انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول التي ملّت وجود اليهود. الصهاينة. على أرضها....

ولا أنسى زيارتنا الشاعر الكبير سليمان العيسى في بيته أكثر من مرّة استعدنا من خلالها ذاكرة السنوات التي مرّت.. وحاولنا أن تكون السنوات القادمة هي الأجمل..

في النعيرية (أنطاكية -لواء اسكندرون) ولد الشاعر الراحل سليمان العيسى عام١٩٢١م وكان طفلاً حادّ الذكاء عاشقاً للغة العربية من خلال والده الشيخ أحمد العيسى الذي كان يُعلم أطفال القرية في قريته "النعيرية

وعلى يدي والده حفظ الشاعر القرآن الكريم، والمعلقات، وديوان المتنبي، وآلاف الأبيات من الشعر العربي، ولم يكن في القرية مدرسة غير (الكُتّاب) الذي هو بيت الشاعر والذي كان والده يسكنه، ويعلّم فيه دخل المدرسة االابتدائية في مدينة أنطاكية حيث وضعه المدير في الصف الرابع مباشرة،

- بدأ بكتابة الشعر ولّما يتجاوز التاسعة أو العاشرة من عمره؛ وأنجز ديوان شعره الأول في القرية، وكان مضمون الديوان يتحدث فيه عن الأرض وهموم الفلاحين وبؤسهم.

أحس عرب اللواء بمؤامرة فصل. هذا اللواء الجميل . عن الوطن الأم سورية، وما إن اشتعلت ثورة اللواء العربية راح الشاب اليافع يفكر بمستقبل اللواء قليلاً أو كثيراً وإذا به ينطلق إلى سورية الأم مستقرئاً الطريق بين أشجار الغابات كثيفة الشجر إلى أقرب قراها في محافظتي حماة وإدلب؛

وفي إحدى زياراتنا قال لنا: إنه كان يختبئ بين الأشجار عندما بعض الحرّاس الأتراك.. لكنه وصل إلى سورية حيث ثمة أهل وأصدقاء؛ واستطاع أن يلبي دعوة القدر الذي دعاه إلى سورية والعراق ومعظم الدول العربية فيما بعد؛ وكان الشاعر المكرّم حيثما حلّ أو ارتحل ولا سيما في سورية الأم الأجمل والأبهى والأكثر كرماً.

وإذا كانت القصيدة المهداة إلى الشهيد "عبد المنعم رياض" جميلة ثرّة الرؤى والمعاني فإن ما كرّسه الشاعر لسورية الأمّ كان غنيّاً ثرّاً؛ وما كرّسه لأطفال الوطن العربي كان الأغنى والأجمل.. والمدهش في هذا المجال أن الشاعر استطاع أن يجمع بين الشعر والنثر بصورة متميزة تدلّ على المساحة الشعرية لا القومية فقط بل الإنسانية..

وقبل سنوات رأيته في "مصياف" مع صديقه الأستاذ المحامي الكبير "عبد الهادي عباس" في إحدى الجمعيات السكنية ؛ وحتى تاريخه لا أعرف كيف تراكض أطفال الحي والأحياء القريبة وتحلّقوا حوله وكلّ منهم يحمل دفتراً أو ورقة راجياً الشاعر أن يضع فوقها توقيعه؛ وكانت فرحة الأطفال عارمة وهم يباهون بتوقيع الشاعر الذي استجاب لهم مبتسماً بمودة لا يمتلكها إلا الشاعر الإنسان الذي يعي ويستوعب براءة الطفولة وأمداء دفئها الطفولي...

وفي دمشق عام ١٩٧٠ أو ١٩٧١م كلّفت بعرافة مهرجان للأطفال؛ وكانت مسرحية سليمان العيسى الشعرية الرائعه "المستقبل" ضمن برنامج المهرجان وفي أثناء التدريبات تمنى المخرج أحمد قنوع. حسب ما أتذكر. أن يكون الشاعر حاضراً الـ"بروفات" واستطعت أن أحصل على رقم هاتفه المنزلي ومن ثَمّ هتفت له فلبى الدعوة ببساطة ومودة وكانت برفقته ابنته "بادية"..

يومها قال لنا: المهمّ بالنسبة لي سلامة اللغة وضبطها أما الموسيقى فنتركها لبادية.. ومن المؤكد أن حضوره إحدى التجارب كان مثمراً.. ما منح المخرج الكثير من الحماس والدقة بشكل الكلمات وإتقان الإيقاع الشعري وتناغم المعاني والألفاظ مع الموسيقى.

وفي آخر زيارة قمت بها مع بعض الزملاء إلى منزله الهادئ الجميل كان يجلس على كرسيّه جميلاً بهيّاً واهن الجسد لكن ذاكرته كانت في قمة الوضوح والجلاء وكانت عينا زوجته د. ملكة أبيض تحوطه بدفء المحبة وهي تحدثنا عن ذكريات العمر الجميل وعن حفل تكريم الشاعر في قريته النعيرية.

في تلك الزيارة و.بعد حفل التكريم. حمل إليه الزميل "نزار بني المرجة" كمية من تراب اللواء السليب وبالدقة من تراب شجرة التوت التي كان يجلس تحت أغصانها يوم كان طفلاً.. وحسبما رأيت في تلك الزيارة كان فرح الشاعر بعبير تراب اللواء فرحاً بلا حدود وإن كان ذلك الفرح قد امتزج بماء دمعة غالية تراءت في مدى زرقة عينيه.

أيها الشاعر الكبير.. أيها الإنسان الكبير..
أيّها العربيّ الأصيل..
لن ننساك.

ومضات من دفتر ذكريات
سليمان العيسى

• غسان كلاس

أن يكتب المرء أو يتحدث أو يحاضر عن الشاعر الكبير سليمان العيسى، رحمه الله، إذن فهو أمام حجم هائل من النتاج كماً ونوعاً أبدعته قريحة ونفس أبية؛ وتكوين قومي ووطني على مدى تسعة عقود من الزمن، فقد ولد شاعرنا في اللواء السليب وعاش الصراع مع الافرنسيين، وتأصلت في ذاته روح القومية والعروبة مع أترابه وأساتذته من المفكرين القوميين الذين يتطلعون إلى وطن عربي واحد ينعم بخيراته ويفخر بتليده وطريفه...

١. في شهر تشرين الأول من العام ١٩٩٩ كان جمهور المثقفين على موعد مع الدكتور راتب سكر محاضراً عن (سليمان العيسى بين الأدب والحياة) وما تزال كلمات الدكتور سكر في ذاكرتي عندما قال: موضوع اليوم مغامرة محفوفة بمخاطر أكاد أرتجف بين أوراقها، فسليمان العيسى وزوجه د. ملكة أبيض يعني ترتيب الكلام عن تسع وسبعين سنة مضت من عمر شاعرنا، وأربع وعشرين مجموعة شعرية، وباقة من الكتب النثرية، فضلاً عن باقة من الكتب المترجمة، ومكتبة واسعة من أدب الأطفال...

لقد قدم سليمان العيسى في حياته تطابقاً فريداً بين قيم قصائده وقيم سلوكه في حياته اليومية فقد سمى ابنته الوحيدة (بادية) وحملت حفيدته اسم (رملة) وهما اسمان يعبران عن التداخل العميق بين القصيدة والحياة، والذات والأمة عبر رموز الصحراء والبادية...

وأذكر أن الدكتورة أبيض قدمت. آنئذ. مداخلة أكدت من خلالها على ذلك بقولها: إن الحياة عند سليمان العيسى تشتبك منها الاهتمامات العامة بالاهتمامات الخاصة اشتباكاً وثيقاً فمنطلقه دوماً أن السعادة الفردية لا يمكن بلوغها في وطن متخلف مستعبد، وإن تحقيق الإمكانات والطموحات الشخصية يسير جنباً إلى جنب مع تحقيق الأهداف الوطنية والقومية...

٢. في إجابته عن سؤال: لماذا تكتب للأطفال؟ قال شاعرنا سليمان العيسى: ولمن تريدون أن أكتب؟ وهل هناك موضوع أجمل وأغنى وأهم؟ وهل شبع أدباؤنا وشعراؤنا من الكتابة للصغار حتى أسكت وأطوي هذه الرغبة بين الضلوع؟ أدبنا العربي محروم من شعر الأطفال، وشعراؤنا مازالوا يخجلون من وضع بسمة الملائكة على شفتي طفل، أعني من كتابة نشيد للصغار، يخجلون أو يترفعون أو يتهيبون.. لا أدري، تظل النتيجة واحدة، ويظل أطفالنا محرومين من بسمات الملائكة على شفاههم.. رحم الله شوقي الذي أحس هذا قبلي، وفتح لنا الطريق... الأطفال هم فرح الحياة ومجدها الحقيقي لأنهم المستقبل، لأنهم الشباب الذي سيملأ الساحة لأنهم امتدادي وامتدادك، لأنهم النبات الذي تبحث عنه أرضنا العربية لتعود إليها دورتها الدموية التي تعطلت ألف عام...

٣. إبان عودته من اليمن، تشرفت بزيارته برفقة ظريف دمشق الصديق ياسر المالح، بعد أن تأصلت العلاقة الوجدانية والأدبية في رحاب شاعرنا الكبير سليمان العيسى، وعرضت ما فاجأته به (قصائد عربية) الصادرة في العام ١٩٥٩ فسر بذلك وافترت شفتاه راسمة ابتسامته المعهودة... ولفتني. آنئذ. إهداءه الذي تصدر المجموعة والموجه إلى الأطفال العرب الذين سيقولون، وهم يقلبون صفحاته كان في وطننا العربي استعمار، وكانت فيه حدود ودول...

٤. على مدى نصف قرن من الزمن، وتزيد، بقي سليمان العيسى شاعر الأسرة، يرددون أشعاره، ويحفظونها، يتبارون فيها في مسابقاتهم، وينشدونها في رحلاتهم ونزهاتهم وأسفارهم، ويستشهدون فيها في حفلاتهم المدرسية ومسامراتهم وتراجيع طموحاتهم وآمالهم.. لقد كان. وسيبقى. مادة أساسية في مناهجهم...

٥. في أحد مهرجانات دمشق للثقافة والتراث دعوت الحضور عندما أسندت إليّ عرافة حفل الافتتاح في قصر العظم للوقوف دقيقة صمت إجلالاً لأرواح شهدائنا الأبرار، بعد أن قلت:

ناداهم البرق فاجتازوه وانهمروا
عند الشهيد تلاقى الله والبشر

٦. في آب من العام ٢٠٠٤ تشرفت بمصاحبة ثلاث قامات كبيرة: شاعرنا وزوجه د. ملكة أبيض والأستاذ ياسر المالح الذي قدّم محاضرة قيمة عن سليمان العيسى في إطار تكريمه ضمن مهرجان المزرعة في السويداء ولله دره، محدثاً بارعاً وأنيقاً، حاضر النكتة، سريع البديهة، يضفي السحر والجمال حيث يكون. وأذكر أنه ارتجل، ونحن في السيارة باتجاه السويداء:

رست في تربة الماضي جذوري
وكل ظليلة في الترب ترسي
ولكني.. لكي أنمو وأحيا
أنا ابن غد ولست ابناً لأمس

٧. لقد كان الشاعر سليمان العيسى إنساناً ومناضلاً صلباً وشخصية ثقافية مرموقة، وكان عمره المديد شاهداً حقيقياً على معظم أحداث القرن العشرين، وقد نهل من معين اللغة العربية وعلومها، وكان لبيئته الأثر الواضح في تكوينه وشعره الذي تأصل. لاحقاً. بارتباطه بزوجه الأكاديمية د. ملكة أبيض، وكان لهذه الملازمة التي تبلورت في وجدانهما وكيانهما أثراً كهذا فباتت راوية لشعره وناقدة أصيلة لكتاباته..

لم يكن سليمان العيسى شاعراً فحسب فله الكثير من المقطوعات والكتابات النثرية التي يشار إليها بالبنان، لذلك كان موضع احترام وتقدير الأدباء والمفكرين في سورية والوطن العربي، الذين كتبوا ودرسوا نتاجاته منها ما كتب بقلم زوجه ومنها تلك الدراسات والأبحاث والاطروحات التي دبجتها أقلام مشهود لها على امتداد الوطن العربي...

سليمان العيسى.. عطاء بلا حدود

• إسماعيل الملحم

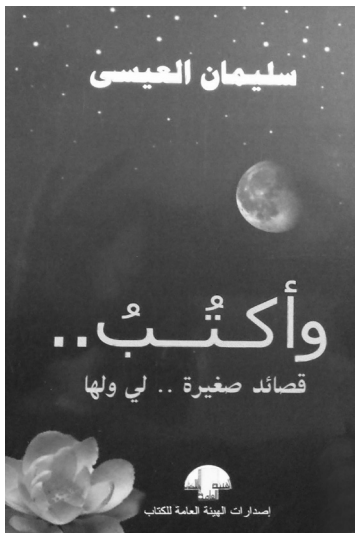

ظل سليمان العيسى مغرّداً يُعطي من موهبته وطموحه، ما قصّر عنه الكثيرون ممن مارسوا الأدب أو تعاطوا بالشأن العام. لم تفُتّ الشيخوخة من عضده، ولم تستطع أن تخفت من صوته المتفائل على الرغم من كل الغيوم والعواصف التي مرت على الأمة خلال حياته المديدة. كان العيسى شاعر العروبة بلا منازع، وظل الصوت المحارب عبر مراحل متنوعة مرّت على الوطن، وتشعبت الأهوال المحيطة به من معركة الاستقلال إلى معارك التمرد على المستغلين والمتآمرين، وظل صوته عالياً. كان شاعرنا صاحب الصوت العروبي الذي كان قوياً ضد سلخ جزء من البلد وتقديمه هدية لمن لاحق له فيه. لم يقف على الأطلال ولم يستكن للأحداث الجسام مستنكراً ما حل بالعرب من النكبة الفلسطينية إلى التآمر على العروبة، والمشروع القومي الحضاري العربي.

نمنا على ذل الحياة
وشفرة الجلاد حينا
نمنا وأضجرنا القيود
وما نزال مكبلينا
نمنا ولكن هل أبيدت
رعشة الثارات فينا
هل أطفئت شُعَلُ
التحفّز في عيون الثائرينا
هل أُخمدت مزق
الأنين بقبضة المستعمرينا
لا لن نموت ولن
يقروا من مآتمنا عيونا

ظلت صفة شاعر الجماهير لاصقة به، على الرغم من تبدل الأحوال والمتغيرات، ولم يكن في أشعاره ومسرحياته الموجهة للأطفال غير مصوّرٍ لبعض تفصيلات اللوحة إياها.

خَبِرَ السجن والنزوح وصارع الاستعمار والاستغلال غير هياب ولا مهادن:

ونحن الأُلى ضحكوا للشقاء
وساروا وليلهم أغبر
ومروا على الشوك لم ينحنوا
وناموا على الجوع لم يزفروا
ورواهم مطمح رائع
وغذّاهم هدف أكبر
وما العمر؟ إن لم يكن ساعة
بأروع ما في المنى تزخر
أتسألني عن رفاق الهوى
ذَرِ السجن عن أمرهم يُخبر
لقد صفع المجد جلاده
ولم يرهبِ الأعزلَ الخنجر
لقد هتفوا نحن أهل البلاد
كما يهتف العاصف الصّرصر
دع الموج يزأر حتى يجن
فلن يقف الزورق المُبحر

نتذكره فتياناً تملأ الحماسة قلوبنا وعقولنا صوتاً مزمجراً في المهرجانات يندّد بكل ضروب التخلف والتبعية، وفي المظاهرات يلهب النفوس استنكاراً للمؤامرات وما كان أكثرها في خمسينيات القرن الماضي.

على الرغم من قسوة الحياة التي عاشها الشاعر كغيره من أبناء جيله إلا أنه لم يساوم ولم يهادن، لم يتشاءم مهما ادلهمت الخطوب ظل ينشر الأمل ويبشر بالمستقبل. يقول رفيق دربه وشبابه المناضل وهيب الغانم عن شعر سليمان العيسى في تقديمه لمجموعته الشعرية (الدم والنجوم الخضر):

"تتسلل في بعض قصائد سليمان العيسى أبيات الأسى والعذاب، حتى إذا كاد اليأس يرهق السامعين، تفجرت في صدره روح الثورة العارمة فسطعت أبيات النصر، وكأنها أشعة صبح مفاجئ .. بعد ليل طال وأناخ، ويشرق الزهو في حنايا روحه أيام النصر، حتى إذا أنس السامعون بعيدٍ عابر، وكادوا يستغرقون بنصر مجزأ تململ في قلبه المثل الأعلى، وترك إيمانه برسالة أمته العظيمة فتسارعت على شفتيه أبيات الثورة، وأنقذ سامعيه من الضياع":

لعينيكِ.. ها أنا ذا في الجموع
أصب بحنجرتي نارها
أمسّ بخفقه قلبي الطريق
أشيل بصدري إعصارها
أطل على خندق الصامدين
أدوس القيود وآثارها
وأحنو على بقعة من دم
لأرشف كالنور تذكارها

في إحدى المقابلات التي أجريت معه قال:

"تفجر صوتي أيام الطفولة والشباب بالعاصفات ، مع مدّ الثورة والتحرّر، وحين بدأ المد بالانحسار، أيام الكهولة، لذتُ بالصمت حيناً، ثم تعلمت أن أفتح نوافذ الأمل بعد كل خيبة، وأبدأ من جديد، مرة بعد مرة. وتحل الحكمة محل الجنون، ما يهمني أن تكون البداية ذات معنى:

الثلاثون الثمانون
بدايات ...بواكير
كلها إن شئت أن تحيا
بدايات بواكير
إنه نهر الحياة
ألقِ في التيار هذا الظمأ الحلو
أو المر ... وسافرْ

رحل سليمان العيسى ولن تغيب عن الأجيال إسهاماته في الشعر كواحد من شعراء العروبة الأفذاذ الذين تركوا الكثير فأغنوا وأفادوا. ولا نغفلن أن سليمان العيسى المربي كان أول من فكر بإدراج التجارب الشعرية الجديدة في مناهج اللغة العربية المقررة في سورية، حين أدخلت وزارة التربية أسماء شعراء جددوا وانتقلوا بالشعر العربي خطوات نحو المعاصرة كتجربة السياب وشعر التفعيلة وغير ذلك.

سليمان العيسى.. المعلم

• أحمد بوبس

لكل إنسان أساتذة تعلم منهم وأخذ عنهم المعرفة والأدب. وكلنا تتلمذنا على أيدي أساتذة خلف مقاعد الدراسة في المدرسة او الجامعة. ولكن هناك أساتذة يتتلمذ الإنسان على أيديهم بعيداً عن مقاعد المدرسة، يتتلمذ على أيديهم في الحياة من خلال ملازمتهم أو قراءة كتبهم. وشاعرنا الكبير سليمان العيسى واحد من الشعراء الذين تتلمذت على شعرهم في بداياتي الأدبية، وبعد ذلك بسنوات تعرفت عليه، وتابعت التتلمذ على يديه، فهو بحق معلم ، مرب.

وأول عهدي بسليمان العيسى وشعره كان عام ١٩٦٩، عندما أبدع قصيدته الرائعة (مصرع الفارس) في رثاء البطل الفريق عبد المنعم رياض الذي استشهد على ضفاف قناة السويس وهو يقود القوات المصرية في قلب معارك حرب الاستنزاف التي خاضها الجيش المصري ضد العدو الصهيوني. هذه القصيدة طبعت وقتها في كراس، تم توزيعه مجاناً مع صحيفة الثورة. ولجمال القصيدة حفظت معظمها عن ظهر قلب. ويقول شاعرنا في مطلعها مخاطباً الشهيد البطل:

بيضاء شامخة الأسى سيناء
تسقى بجرحك روعة وتضاء
بيضاء تغسل أرضها وسماءها
بسنا الرجولة دفقة حمراء

ووقتها كانت العمليات الفدائية البطولية للفدائيين الفلسطينيين تزلزل الأرض تحت الكيان الصهيوني، فلم ينس سليمان العيسى الإشارة إلى ذلك حين قال:

دق الفدائيون باب نشورنا
وكألف بشرى بالرسالة جاؤوا
من نارها فتح ومن أسمائها
حطين... لم تتبدل الأسماء

القصيدة الثانية التي شدتني إليه ثانية بروعتها كانت (الخالدون) التي أبدعها بعد حرب تشرين، يمجد فيها ويبجل الشهيد. أما مطلعها فيقول:

ناداهم البرق فاجتازوه وانهمروا
عند الشهيد تلاقى الله والبشر
ناداهم الموت فاختاروه أغنية
خضراء مامسها عود ولاوتر

ويسير بي الزمن أتنقل بين قصائد سليمان العيسى. اقطف من هذه زهرة، وأشم عبير تلك، وبشكل خاص قصائده الفلسطينية التي كتب معظمها في فترة تعاظم العمليات الفدائية ضد العدو الصهيوني في النصف الثاني من القرن العشرين إضافة إلى قصائدة المفعمة بالعروبة والوحدة العربية. ولكن كل ذلك عن بعد، فلم أكن قد تعرفت على الشاعر العيسى.

عندما بدأت كتابتي في صحيفة الثورة منتصف السبعينيات من القرن الماضي مستكتباً ثم عاملاً فيها بدأت معرفتي بسليمان لعيسى، وكان وقتها الموجّه الأول للغة العربية في وزارة التربية. وكانت لقاءتي به في مكتبه بالوزارة. لكن هذه المعرفة تطورت إلى صحبة عميقة عام ١٩٨٠، حين ترافقنا في زيارة إلى ليبيا دامت عشرة أيام، واشتركنا وقتها في مهرجان الفاتح الشعري بطرابلس. وعاد شاعرنا الكبير ليدهشني من جديد بقصيدته (أرضنا السمراء). يومها وقف على المنبر يصرخ من أعماقه طالباً (وحدة..نصف وحدة). نعم.. إنه يريد وحدة عربية بين بلدين عربيين، بين قلبين عربيين، المهم أن تكون وحدة. يومها توالت في المهرجان قصائد النفاق للون الأخضر وكتابه وكاتبه، إلا سليمان العيسى فكان ثابت الموقف لاشيء إلا العروبة والوحدة العربية في شعره وروحه وعروقه.

وتوالت لقاءاتنا..وكان آخرها قبل رحيله بأشهر. يوم ذهبت إليه كي أصور عنه فيلماً وثائقياً عن حياته وشعره. ويومها كان لقاء مؤثراً بيني وبينه، وأنا أستظهر أمامه بعض محفوظاتي من شعره. وبشكل خاص قصيدة مصرع الفارس. ترقرقت الدمعة في عينيه، وقال لي (أما تزال تحفظ هذه القصيدة). وهل تُنسى الروائع. وأنجزنا الفيلم، وعرض على شاشة التلفزيون مرات عديدة، ونال رضاه.

هذه حكايتي مع شاعرنا الكبير سليمان العيسى شاعر العروبة. حكاية التلميذ مع الأستاذ، لكن ليس على مقاعد الدرس، بل في الشعر في السلوكيات والأخلاق لرجل عفيف النفس، ثري بأخلاقه وروحه وشعره.

أدب الأطفال بين طاغور و سليمان العيسى

• ممدوح أبوالوي

ولد الشاعر سليمان العيسى عام ١٩٢١ في قرية النُّعيرية الواقعة غرب مدينة أنطاكية، تلقى علومه الأولى على يد أبيه الشيخ أحمد العيسى، ولم يكن في القرية مدرسة غير الكتّاب وهو بيت والده الذي كان يسكنه ويعلّم فيه، وحفظ منذ طفولته ديوان المتنبي(٩١٦-٩٦٦م.) والقرآن الكريم والمعلقات، درس المرحلة الابتدائية في مدينة أنطاكية، وأتم تحصيله العالي في بغداد في دار المعلمين العليا، وعمل مدرساً للغة العربية بحلب عشرين عاماً ما بين عامي ١٩٤٧-١٩٦٧،وأصبح الموجه الأول للغة العربية في وزارة التربية منذ عام ١٩٦٧،وانتخب عام ١٩٩٠ عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

مأساة حزيران في إبداع سليمان العيسى:

تقول الدكتورة ملكة أبيض: "عقب مأساة حزيران ١٩٦٧، شهد نتاج الشاعر سليمان العيسى منعطفاً كبيراً.....قرر أنْ يتجه إلى الأطفال، الذين عدّهم نافذة الأمل في المستقبل، بعد أنْ احترق الماضي." (١) فنظم قصائد وطنية للأطفال مثل قصيدة "فلسطين داري"

فلسطين داري و درب انتصاري.
تظل بلادي هوىً في فؤادي
ولحناً أبيّا على شفتيا
وجوه غريبة بأرضي السليبة
تبيع ثماري وتحتل داري
فلسطين داري ودرب انتصاري.

ويؤلف نشيداً عن المدرسة:

نشيد النور في شفتي
تعيش تعيش مدرستي
أحبُّ معلمي الغالي
أحبُّك يا معلمتي

ويذكرنا هذا النشيد ببيت أحمد شوقي(١٨٦٨-١٩٣٢)

قمْ للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلّمُ أن يكونَ رسولا (٢)

ولا بأس من الإشارةإلى أنَّ أحمد شوقي نظم مجموعةً من القصائد عن الأطفال، فنظم الشاعر أحمد شوقي مجموعة من الحكايات هي للأطفال وإن كانت تصلح للكبار أيضاً منها قصيدة "الجَدّةُ" يقول فيها :

لي جَدَّةٌ ترأف بي أحنَ عليَّ من أبي
وكلُّ شيء سرّني تذهبُ فيه مذهبي
إنْ غضبَ الأهلُ عليَّ كلُّهم لم تغضبِ
مشى أبي يوماً إليّ مشيةَ المؤدبِ
غضبانَ قد هددَ بالضرب، وإنْ لم يضربِ
فلم أجد لي منهُ غيرَ جَدَّتي من مَهربِ
وهي تقولُ لأبي بلهجة المؤنّبِ :
ألم تكنْ تصنعُ ما يصنعُ إذ أنتَ صبي؟ (٣)

وهناك مجموعة كبيرة من الحكايات نظمها شوقي على ألسنة الحيوانات وهي تشبه إلى حدٍّ ما حكايات "كليلة ودمنة" التي ترجمها عبد الله بن المقفع في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور حوالي ٧٥٠م من اللغة الفارسية وكانت قد ترجمت عن اللغة الهنديّة القديمة، وحكايات الكاتب الفرنسي جان دي لافونتين (١٦٢١-١٦٩٥). وما دمنا نتحدث عن أدب الأطفال عند سليمان العيسى فلا بأس من مقارنته بأدب الأطفال عند طاغور وهو من أوائل أدباء الشرق الذين حصلوا على جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٣ومن دواوينه:

ديوان «الهلال»

وهي مجموعة شعرية عن الأطفال، نقلها إلى اللغة العربية الدكتور بديع حقي ويقول طاغور في قصيدته بعنوان «البداية»: «سأل طفل صغير أمه: من أين أتيت؟ وأين ظفرت بي؟ وأجابت أمه: يتجاذبها ضحك وبكاء، وهي تضم طفلها إلى صدرها : لقد كنت مختبئاً في قلبي، كنت رغبته يا حبيبي...

أنت يا حبيب السماء الأول، أنت يا توأم شعاع الصباح، لقد جرفك تيار حياة الكون، حتى رسوت أخيرًا في قلبي...

وخشيت أن أضيعك فقد جذبتك وشددتك إلى صدري، ترى أي سحر قد منح كنز الدنيا إلى ذراعي النحيلتين؟»(٤)

وفي قصيدة أخرى يلوم الشاعر الكبار لأنهم يوبخون الصغار على ألعابهم، ولأنهم يلطخون أصابعهم بالحبر، ولأنهم يمزقون ثيابهم، ولأنهم يتناولون الحلوى بنهم، وماذا سيقول هؤلاء الكبار عن الذين يحبون كل ما يفعله الأطفال؟

يقول في قصيدة بعنوان «درب الطفل»: «يتأتى للطفل أن يطير إلى السماء،... ولكنه لا يفعل لأنَّ لديه ما يحمله على ألا يغادرنا، إنه ليحب أن يوسد رأسه على صدر أمّه، ولا يقوى البتة على رؤيتها تغيب عن ناظريه.

إنَّ الطفل الصغير يحيط بجميع ضروب الكلام السديد، غير أنَّ الذين يدركون معناها قلائل على الأرض. فليس عبثاً ألا يرغب في الكلام « (٥)

والديوان بكامله شعر للأطفال، ولكننا نجد فيه نسمةً إنسانيةً، فهذا الطفل هو الطفل الهنديّ أو العربيّ أو الصينيّ أو أي طفل في أيّ بلد، فلا نجد فيه صفات محددة تميز الطفل الهنديّ، كما هو الحال في أشعار سليمان العيسى(١٩٢١-٢٠١٣) الذي يتحدث في قصائده عن الطفل العربيّ بالتحديد، الذي سلبت أرضه، واحتل وطنه، وشرد أهله، وحلت به النكبات والمصائب لذلك اضطر لحمل الحجارة والقتال ومقارعة الغاصبين. الطفل عند طاغور لا يلعب في الأرض الهندية، إنه يلعب، ونحن لا نعلم أين يلعب، أيّ أنه طفل بوجه عام، الطفل الذي يلطخ أنامله بالحبر وهو يكتب، ويمزق ثيابه وهو يلعب، ويأكل الحلوى بنهم، تعاقبه أمه لأنها تحبه، ويحق فقط لمن يحبُّ أن يعاقب.

ويخاطب طاغور الأطفال الذين يلهون بالدمى، في حين يلهو الكبار بجمع المال والذهب، وذلك في قصيدة بعنوان «الدمى»، ويقول الطفل لأمّه تعالي نمثل أنت دور الشاطئ وأنا دور الأمواج، فالأمواج تسعى دائماً باتجاه الشاطئ. والديوان في معظمه قصائد يدور فيها الحوار بين الأم وابنها، قلب الأم مفعم بالحب، والطفل يعرف هذا الحب ويشعر به.

ويصف طاغور في قصيدة بعنوان « زوارق ورقية « تلك الزوارق التي يصنعها الأطفال وشعورهم تجاهها. ويتخيل الطفل نفسه تاجراً، يجوب البلاد في قصيدة بعنوان «التاجر» الذي يجلب لأمه الذهب واللؤلؤ، ويتخيل نفسه رجلاً كبيراً، في قصيدة «الرجل الكبير»، ضم هذا الديوان قصيدة بعنوان «هدية» فالأطفال يحبون الهدايا، وحتى الكبار يحبونها، والأطفال كما يقول عنهم طاغور ملائكة.ومن الأدباء الذين كتبوا عن الطفل الروائي الروسيّ ليف تولستوي(١٨٢٨-١٩١٠)،وأما معاصره دوستويفسكي(١٨٢١-١٨٨١) فلم يكتب للأطفال.

المصادر:

١-سليمان العيسى،النعيرية..قريتي،دمشق،اتحاد الكتاب العرب،٢٠١٢ص ٥

٢- الشوقيات، المجلد الثاني ص ١٨٠، قصيدة عن المعلم.

٣- - الشوقيات، المجلد الرابع، الجّدة، ص ١٨٩.

٤-طاغور، ديوان الهلال، بيروت، ١٩٥٧، ص١٦ ترجمة د.بديع حقي

٥-طاغور، روائع طاغور، ديوان الهلال، ط٤، ١٩٧٩،ص٢٩٤

إلى روح المبدع سليمان العيسى وترجّل الفارس شاعر الطفولة

• سعاد مهنا مكارم

قادني القلم حيث يريد... لا أعرف أين يأخذني، لكنه حطَّ رحاله هناك وقال حركيني... اجعليني ألوّن لك حروف الحياة.. مرريني على حروف المعجم وخذي مني ما تريدين... قلت هلمّ نتحدث عن شاعرنا سليمان العيسى... فتح لي باب أسراره فتراكضت الكلمات تغزو قلمي... تسبقني إلى حيث أريد... توقف قلمي عند يوم التاسع من آب؛ فصارت مواده تطرقني... ذكّرني بالرحيل... مالك يا والدي تتفق مع العظماء على موعد الرحيل... قبل لحظات أخبرتك أن الشاعر محمود درويش امتطى حصان الرحيل وكنت ماتزال بأوج قوتك فقلت لي «البقاء لله»... ولم يمض أكثر من أربع ساعات حتى لبستَ ثوب الرحيل ولحقته... أكنتَ تحبه لدرجة جعلتك تسرع للقائه هناك بين ذرات التراب...؟ هل عقدت معاهدة معه ومع سليمان العيسى على موعد الغروب؟ هاهو شاعرنا يختار لقائك ولقاء محمود درويش في اليوم ذاته... هاهو يترك إرثه ويغادر وكأنه ما كان... هاهو يترك دواوينا شعرية ونثرية أغنت المكتبة العربية... هاهو يترجل الفارس بعد أن تعبت روحه من الترحال....

من كلمة إلى كلمة ومن قصيدة إلى أخرى من دون كلل أو ملل... حتى أواخر أيامه استطاع أن يسخّر القلم لأنامله ويطوع الأفكار لشعره لتأتي متوازنة مفعمة بالصور والعبارات الشعرية القادرة على اختراق حواجز القلوب...

غنّى الأطفال شعره...

رددوا كلماته على حناجرهم...

يذكرون اسمه في نهاية كل نشيد؛ فترتبط الكلمة مع اسمه... صنوان لا ينفصلان... هو جزء من شعره... بل كل شعره... عرفته الطفولة شاعراً لها بعد نكسة حزيران... آلمه الحزن على ما وصل إليه الحال فكان مفعماً بحب الأطفال والتوجه إليهم... زرع روح النضال مع براعم تتفتح... يكبر الصغير حاملاً هموم الوطن كيلا ينسى القضية... شعره أغنية الوطن وأبناء الوطن... يحكي للأطفال كيف يصنع النجار من خشبه بيتاً للعصفور... بيتاً للعبة:

عمي منصور النجار
يبدع في يده المنشار
قلت لعمي عندي لعبة
اصنع لي بيتاً للعبة
هز الرأس وقال
أنا أهوى الأطفال

فلسان النجار هو لسان الشاعر وهو يقول: «أنا أهوى الأطفال». تميز الشاعر سليمان العيسى بقدرته في القصة الشعرية؛ يحكي الحكاية للأطفال بأسلوب شعري جميل يحفظه الطفل من دون عناء... يشرح للطفل كيف يبتعد عن الأذى، ويسعى إلى العمل المثمر الناجح؛ يتجلى ذلك في قصته الشعرية «الفلاح والغراب» التي حفظها تلاميذ الصف السادس قبل أن يخرجوا من الصف في أثناء شرحها وقراءتها... قصيدة سلسة جميلة تجعل الطفل ينأى عن الشر، ويتمسك بعمل الخير من خلال «شخصية الغراب» والقصيدة تقول:

امتطى ظهر الحصان الأشهب وعلى الدرب انطلق
بنته الحلوة كانت خلفه حلوة مثل الشفق
فجأة راح غراب ينعب غاق غيق
وتهاوى الموكب في الطريق

إلى أن يقول:

خجل الطائر من مزحته مزحة حمقاء
لم يكن يدري مدى فعلته فعلة نكراء
أقسم الإيمان نادى رافعاً صوته الرنان
لأكونن صديقاً نافعاً لأخي الإنسان

ذكرت هذه القصة الشعرية، لأبين لقطة من لقطات القدرة لديه في سرد القصة الشعرية، فهو ساق هذه القصة ليعطي موعظة بأسلوب شيق جميل.

ودمشق كأيّة مدينة سورية... كلها جميلة برأيه... لكل منها نكهة لذيذة... يخاطب دمشق:

هذي دمشق مدينتي الخضراء ترفل بالطيوب
والشارع الوضاء نهر من أساطير الغروب

ويتابع:

أمدينتي هذي التي
غرقت بهفات الحرير
أمدينتي هذي التي
تغفو على وهج العبير

أجل.. الجسد يفنى والأيام تمضي وتبقى أنت في الذاكرة... ذاكرة الأجيال تغنيك شعراً مع نسيمات الصباح والشفق القرمزي لحناً في سجل الخالدين.

سليمان العيسى في الذاكرة

• ياسين فاعور

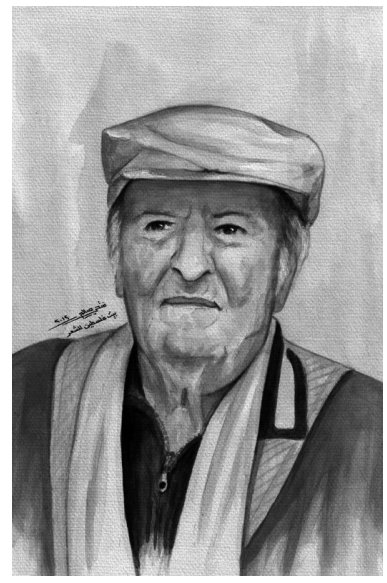

تعود بنا الذاكرة ونحن نودّع الشاعر الكبير سليمان العيسى الذي غادرنا جسداً، وسكن ذاكرتنا وقلوبنا روحاً، إلى سنين طويلة خلت.. كنتُ فيها طالباً في المرحلة الإعدادية في ثانوية المأمون بحلب، وكان الشاعر الراحل مدرساً للغة العربية، تلقينا عليه بواكير تفتحنا على أدبنا العربي عامة، والشعر العربي خاصة، وكانت تلك المحطة الأولى في معرفتي بهذا الشاعر الكبير.

كانت تلك المرحلة قلقة تشهد نهضة قومية وليدة، وكان شاعرنا المناضل يتوقد وطنية، ويؤجج وهج العروبة في عروقنا، دخل السجن مرَّات عدة، وفي كلّ مرَّة يخرج من السجن أشدَّ صلابةً وعنفواناً مما كان عليه قبل دخوله.

أذكر آخر مرَّة خرج من السجن، وجاء الثانوية شامخ الرأس وقد قهر السجن وسجَّانيه. استقبلناه بالهتافات والتصفيق، وتسابق الطلاب لحمله على الأكتاف، وطافوا به في باحة الثانوية الواسعة متنقلاً من كتف لآخر.

بعدها صعد درجات مدخل الثانوية، وارتجل كلمةً مؤثِّرة أكدَّ فيها ثبات نهجه، وصلابة عوده، وارتجل أبيات شعر مازلتُ أذكرُ بيتاً منها، كنتُ أُذكِّره به كلما التقيته:

عربيٌّ أنا،

وهل يُجرمُ العطرُ إذا قال: إنني في البراعم

كانت تلك المحطة الأولى في معرفتي بشاعرنا الراحل، وفرَّقتنا الأيام سنين طويلة، ومالبثت أن جمعتنا مرة ثانية في دمشق، وهذه هي المحطة الثانية. كان الشاعر الراحل آنذاك موجهاً أول للغة العربية في وزارة التربية بصحبة الأستاذة ندوى النوري، والأستاذ فالح فلوح، وكنت موجهاً أول للغة العربية في مدارس عرب فلسطين التي تشرف عليها وكالة الغوث الدولية «الأونروا».

كان ذلك في مطلع الثمانينات وقد طبَّقت وزارة التربية الوحدة الثقافية مع الأردن الشقيق. وأعدَّت المناهج الخاصة بذلك لتطوير الأساليب والطرائق في تدريس اللغة العربية وتمكينها. وما أذكره الآن أنَّ وزارة التربية حدَّدت فقرة في نهاية كتاب القراءة للصف الأول الابتدائي في نهاية التطبيقات اللغوية بعنوان: «أكتب في دفتري بخط الرقعة»، وكان اللقاء الثاني بيننا، والذي استغرق فترة طويلة، تناقشنا فيه في موضوع الكتابة «بخط الرقعة»، وكيف يكتب الطالب بذلك؟، ومن يُدرِّسه اللغة قد لا يتقن هذا الخط «وفاقد الشيء لا يعطيه»، ولن أطيل الشرح في ذلك، فقد تدارك الأساتذة الكرام ذلك بتوجيهات خاصة بخط الرقعة، لاسيّما ما يتعلق بالحروف التي تطمس،والتي لا تطمس، وكانت لي نشاطات خاصة في مدارس عرب فلسطين.

ودارت الأيام، وافترقنا مرة ثانية، لكنَّ ذكراه لم تُغادر القلب، وقد أتاحت لي الأقدار فرصة ذهبية قمت خلالها برحلة سياحية إلى تركيا، بدأتها بزيارة لواء الإسكندرون، زرت خلالها بلدة الشاعر «النعيرية» مسقط رأسه، وبلدة «أرسوز» بلدة المفكر العربي الكبير زكي الأرسوزي.

تابعت مسيرة حياتي، وتابع الشاعر الكبير قافلة الإبداع، فقد حفلت مناهج اللغة العربية في المرحلتين الأساسية الأولى والثانية والثانوية باشعاره، تغنَّى بها الصغار، وحفظها الكبار.

والتقينا في المحطة الثالثة في دورة أبي فراس الحمداني التي عقدت في الجزائر في شهر (أكتوبر) تشرين الأول سنة ٢٠٠٠ التي عقدتها مؤسسة الشاعر العربي الكويتي الكبير عبدالعزيز البابطين، وهي الدورة السابعة، حيث عقدت الدورات «الأولى، والثانية، والثالثة» في القاهرة في الأعوام «١٩٩٠-١٩٩١-١٩٩٢»، وعقدت الدورة الرابعة في فاس عام ١٩٩٤، والدورة الخامسة في «أبو ظبي» عام ١٩٩٦، والدورة السابعة في بيروت عام ١٩٩٨.

وفي هذا المجال يُقدَّر للشاعر الكويتي الكبير عبد العزيز البابطين دوره في رعاية الإبداع الشعري، وتقديره، وتشجيعه، ونذكر له بالتقدير «ديوان الدرَّة» الذي أصدره في ثلاثة مجلدات، كان لي شرف المشاركة فيه بقصيدة تمجِّد بطولة هذا الفتى الفلسطيني، وتبرز غطرسة العدو الصهيوني الآثم.

وفي الدورة السابعة هذه «دورة أبي فراس الحمداني» كُرِّمَ شاعرنا الكبير سليمان العيسى، ومُنِحَ الجائزة التكريمية للإبداع في مجال الشعر، وهي جائزة تمنح لواحد من الشعراء العرب الذين أسهموا بإبداعهم في إثراء حركة الشعر العربي من خلال عطاء شعري متميِّز، والجائزة هذه لا تخضع للتحكيم، بل لآلية خاصة، يضعها ويشرف على تنفيذها رئيس مجلس الأمناء.

وشاعرنا العربي الراحل خالد في ذكراه أجيال عربية متعاقبة، وهو شاعر عربي مميَّز من حيث القامة الشعرية، في عصر حافل بالنهضة القومية، والتصدي لألوان الاستعمار، ومقاومة الظلم والطغيان منذ أكثر من نصف قرن.

إنَّه واحد من فحول شعراء القصيدة العمودية، والحفاظ على البنيان الكلاسيكي للقصيدة العربية، ولا يعني هذا المساس من قدراته الإبداعية، فقد أبدع العديد من الدواوين الشعرية المعبِّرة عن روح التجديد،واتسم إنتاجه الشّعري بسمات متعددة تُحْمَدُ له، وتقدَّر، أذكر منها:

١. غزارة الإنتاج الشعري وتنوعه، وللشاعر أكثر من خمسة عشر ديوان شعر، وله عدد من المسرحيات الشعرية، ومسرحيات الأطفال.

٢. التفات الشاعر إلى الطفولة العربية التي أبدع من أجلها عدداً من أعماله الشعرية الجميلة والمبتكرة من حيث الموضوعات والصياغة الشعرية.

٣. كتب قصة طفولته شعراً، ثم كتبها نثراً، الأولى بعنوان: «أحكي لكم طفولتي يا صغار»، والثانية بعنوان: «وائل يبحث عن وطنه الكبير».

٤. أوَّل دواوينه الشعرية، ديوان «مع الفجر» ١٩٥٢، وآخرها ديوان: «اليمن» ١٩٩٤.

٦- مجموعاته المسرحية الشعرية ومسرحيات الأطفال كثيرة، نذكر منها:

١. الفارس الضائع ١٩٦٩.
٢. إنسان ١٩٦٩.
٣. ابن الأيهم ١٩٧٠.
٤. الصيف والطلائع ١٩٧٠.
٥. غنُّوا يا أطفال ١٩٧٠.
٧. له مؤلفات أخرى:
١. شعراؤنا يقدّمون أنفسهم للأطفال. دفتر النثر.
٢. على طريق العمر ١٩٩٦.
٣. قصص الأطفال المعرَّبه.
٤. شمالات ١٩٩٧.
٨. جاوزت أعماله الشعرية والمسرحية وشعر الأطفال أربعة وثلاثين عملاً.
٩. آخر أعماله الشعرية فيما أعلم«إنِّي أواصل الأرق» دمشق ١٩٨٤.
١٠. حصل على جائزة شعر الأطفال من (الألكسو).
١١. حصل على جائزة (لوتس) للشعر من اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٢م.
١٢. انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٩٠.

مجَّد بطولات حرب تشرين بقصيدته الرائعة «قدسية الشهادة»:

تشرين.. يا مَوعدَ الفرسان.. يا قَدَراً
يجثو على قَدمي ميلاده القَدَرُ
قُلْ للغزاة: كأسلاف لكم، خبرٌ
أنتم على أرضنا إنْ ننتفض خَبَرُ
لأننا. وجذورُ الشمس في يدنا.
نُقاتلُ الحَلَكَ الباغي سَنَنْتَصرُ

سنواصلُ السيرَ على درب النضال أيُّها الراحلَ الخالد في نفوسنا وستبقى أناشيدُك تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل، نَمْ قريرَ العين في جنَّات النعيم.

د.ياسين فاعور

سموت.. فما تدانيك سوى الشمس

• محمد محمود قشمر

قصيدة مهداة إلى شاعرنا الكبير سليمان العيسى

أدقُّ ببادرَ الأمسِ — أيا شاماً تُظَلِّلُهُ
وأقتاتُ جنى الهمسِ — بوحي العُرْبِ والقُدْسِ
وتشهدُ ولائمُ الذكرى — ويا رُوحاً تسيلُ عَلى
عِناقَ البوحِ للرَّمسِ — "ثمالاتٍ" بلا كأسِ
أيا قلباً اكْتوى ثلْجاً — "طريقُ العُمرِ" يَقصُدُهُ
ويا نفْساً بلا نفسِ — و"ميسونٌ" بِهِ تُمْسي
ويا جَسَداً حبا كَنزاً — و"أطفالٌ" "مِنَ اليمنِ"
فظلّلهُ شَذى الشَّمسِ — و"هَمَسَاتٌ" لها جَرْسِ
غدوتُ أرتمي أَسَفاً — و"إنسانٌ" "يَضيعُ" فَمَا
على شعرٍ بلا رأسِ — يَجِدُّ به سَوى الدَّرسِ
أتوهُ بينَ أضْلُعِهِ — أبا معنٍ سموتَ فَمَا
كطلٍي ضاعَ في الغَلَسِ — تُدَانيكَ سِوى الشَّمسِ
فيكوي طيبُ مبْسَمِهِ — وأدعو الله يكلَؤُكَ
أناملَ مَسْتِ القَبَسِ — نعيمَ الخُلدِ مُنْغَمِسِ

أمسية تأبينية للراحل سليمان العيسى في الشارقة

أدباء يشيدون بمناقب سليمان العيسى في الشارقة

نظم بيت الشعر بالشارقة مساء ٢٠١٣/٨/٢٠ أمسية تأبينية للشاعر السوري الراحل سليمان العيسى بعنوان "دمعة على غياب سليمان العيسى".

شارك في الأمسية جمع غفير من الأدباء والمهتمين بالفكر والأدب الإنساني يتقدمهم "بلال البدور" وكيل وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع.

تناولت الأمسية حياة الشاعر وإبداعاته والأدبية إضافة إلى مجموعة من الشهادات لأدباء عاصروه ولمسوا من خلال معرفتهم الوثيقة به ارتباطه بالفكر العربي، وحسه الثوري والأدبي، ومناهضته للقوى الأجنبية الاستعمارية، وموقفه الجريء والصريح من الثورة الجزائرية التي انتصرت على الاستعمار، كما تناولت مجموعة من القصائد التي اعتبرها الحضور خالدة لمجرد أنها حملت توقيع "سليمان العيسى".

سليمان العيسى بين الأدب والحياة

• د. ملكة أبيض

ربما كانت الحياة تعني للبعض «الحياة الخاصة» بما تقتضيه من تلبية الحاجات المادية والمعنوية للفرد.. كالدراسة والعمل وتحصيل مكانة اجتماعية.. وما إلى ذلك.

إلا أن الحياة عَنَت دائماً لسليمان العيسى شيئاً آخر، لقد اشتبكت فيها الاهتمامات العامة بالاهتمامات الخاصة اشتباكاً وثيقاً حتى طغت عليها في معظم الأحيان.

ومنطلقه في ذلك هو ما ردده دوماً من أن السعادة الفردية لا يمكن بلوغها في وطن متخلف مستعبد، وأن تحقيق الإمكانات والطموحات الشخصية يسير جنباً إلى جنب مع تحقيق الأهداف الوطنية والقومية.

هذا ما عنته حياة الشاعر منذ فتح عينيه عليها:

التنديد بظلم الفلاحين وبؤسهم وحرمانهم في قريته.

الوقوف في وجه سلب موطنه الصغير. اللواء. وتتريكه.

مقارعة الانتداب الفرنسي في سورية، والغزو الصهيوني لفلسطين؛ والاستعمارين الفرنسي والبريطاني للعديد من الأقطار العربية في المشرق والمغرب.

وقد تخللت حياته بعض لحظات الفرح، إلى جانب تلك المشكلات والمآسي التي رافقتها.

كانت هناك أفراح شخصية وأخرى عامة.

على الصعيد الشخصي.. كانت هناك الصداقات الحميمة والحب، والزواج، والأولاد، ثم الأحفاد.

وعلى الصعيد العام.. كانت هناك الثورات التي انتشرت في معظم الأقطار العربية، وأسفرت عن عدد من المنجزات، أهمها حصولها على الاستقلال.

ولكن الخيبات تجاوزتها كلها حتى كاد اليأس يعصف به أحياناً.

على أن إيمانه العميق بأمته كان يعيد إليه الأمل بعد كل خيبة. فما دام هناك كبار يحيون، وينقلون آلامهم وآمالهم إلى الأطفال فإن الأطفال سيكونون خير من يتولى حمل الرسالة، وإيصالها إلى غايتها.

وهو القائل بعد نكسة حزيران ١٩٦٧:

أغنّي لهم، ولهم أكتبُ
لذا.. قلمي مورقٌ
لذا.. دفتري معشبُ

وسأحاول في هذه اللمحة إعطاء شواهد عن انعكاس حياته الخاصة في نتاجه الأدبي، فتفاعله مع الأحداث العامة معروف على نطاق واسع.

واسمحوا لي أبدأ الشريط منذ البداية، ولكن باقتضاب وإيجاز.

الفترة الأولى، فترة الدراسة الثانوية والجامعية؛ فترة الحياة المشتركة في دمشق، في بيت صغير في حي السبكي مع عدد من الشبان اللوائيين المهاجرين، على رأسهم الأستاذ زكي الأرسوزي، وتأسيس حركة نضال قومي باسم البعث، ومن ثم الحياة الطلابية في دار المعلمين العالية ببغداد.

وخلال ذلك كنت. أنا. أحضّر الليسانس في العلوم التربوية والنفسية في بروكسل ببعثة لحساب وزارة التربية السورية.

وعدت في نهاية السنة الدراسية الثالثة لزيارة أهلي في حلب، خلال الإجازة الصيفية.

وقد التقيت سليمان في بيتنا، وكان قد سبقني إليه مدرساً لأخواتي، ومعيناً لهم في التحصيل. كان الجميع يحبونه ويقدّرونه.

وتقدمه لي شقيقتي الكبرى: أستاذنا سليمان!..

ونتصافح، ويدور بيننا حديث، تتلوه دعوة إلى محاضرة، ثم نزهة في المدينة، ثم نزهات وأحاديث، بدأت في صيف ١٩٤٩م، تخلّلها فاصل قصير عدت فيه إلى بروكسل لأكمل السنة الجامعية الأخيرة وأحصل على الشهادة، بعد أن أعلنّا خطبتنا، واتفقنا على الزواج بعد عودتي إلى حلب.

وخلال تلك الفترة من البعد، والرسائل المتبادلة كتب لي سليمان عدداً من القصائد التي أحبها وأعتز بها، اقتطف من إحداها هذه الأبيات:

هذي حديقتك الطروب
فأين زنبقة الحديقةْ؟
أقبلت وحدي، لا أضمُّ
إلى يدي يدك الرقيقةْ

ويعني حديقة «نوتاراكي» في حلب، التي شهدت الفترة الأولى من خطبتنا.

لم تضحك الأزهار حولي لا، ولم أرها أنيقة
فهناك، حيث خطوت ماج الورد وابتسمت حديقة/
حلب: ١٩٥٠

في ١٧ أيلول من عام ١٩٥٠، بدأت حياتنا الزوجية؛ وفي إحدى قصائده يسمي سليمان زواجنا «القيد الصغير» ويقول فيه هذا المقطع الجميل:

بيديَّ اخترته قيدي الصغيرْ
من ربيع دائم في القلب،
من بردٍ غديرٍ
أتقي الصحراء فيه...
كلما أسلمني الإعصار من تيه لتيه
بيدي اخترته.. هذا النداءْ
يصل الأعماق بالأعماق، يخضرُّ الرجاءْ
كلما أوغل في المجهول خطوة
صبوةٌ تولد في أطلال صبوة
كيف لا يستسلم النهر لأشواق السفر؟
قيده الحلو تسابيح الوتر
باقةٌ سمراء من ضوء القمر
ضحكةٌ تزرع في الليل السحر

في هذه الفترة، كان سليمان يدرس في ثانويات حلب، ودور المعلمين، ويكتب بلا انقطاع، كما كنت أدرس أنا؛ وكان يناضل. كما هو معروف. في "البعث العربي" الذي شارك في تأسيسه منذ البداية. دواوينه في الخمسينيات والستينيات معروفة، تناقلتها الأجيال العربية على امتداد وطننا العربي الكبير: "مع الفجر"، "أعاصير في السلاسل"، "رمالٌ عطشى"، "بين الجدران"، "ثائر من غفار"، "قصائد عربية"، "أمواج بلا شاطئ"، إلى آخر هذه القائمة من المجموعات الشعرية التي ألفت المجلدات الثلاثة الأولى من نتاجه الشعري.

في هذه الفترة.. كتب أيضاً عدداً من المسرحيات الشعرية، دُرِّست إحداها: «ابن الأيهم، الإزار الجريح» في صفوف البكالوريا السورية، وما يزال الكثير من الطالبات والطلاب الذين خرجوا إلى الحياة يذكرونها، ويرددون مقاطع منها.

لقد دخل سليمان السجن أكثر من مرة بسبب قصائده ومواقفه القومية، وخرج من إحداها بديوان صغير معروف بعنوان: "شاعر في النظارة"، أو "شاعر بين الجدران".

ومرةً أخرى أعود فأقول: إن حياته الخاصة كانت تمتزج بحياته العامة في كل شيء؛ سليمان يحب الحياة ويريدها كلاً لا يتجزأ. يغني للأطفال، ويلعب ويرقص معهم؛ ويغني لأطفاله أيضاً؛ قصائد معن وغيلان وبادية منتشرة في دواوينه، كما انتثرت بعد ذلك قصائد أحفاده وحفيداته.

يقول في إحدى قصائده لابنته بادية:

قبل ان انفض عن جفني الكرى
وخيوط الفجر في أهدابيهْ
تسبح الغرفة في زقزقة
لا ندى الصبح ولا أحلامِيهْ
اليد الحلوة في شَعري.. فيا
رفّة الورد وهمس الساقيةْ
يا نسيم الصبح لم تملأ دمي
بالهوى والعطر لولا "باديةْ"

في العام ١٩٦٧ الذي أطلقنا عليه عام النكسة، ننتقل من حلب إلى دمشق، هو موجهاً أول للغة العربية في وزارة التربية، وأنا مدرسة في دار المعلمات ثم في جامعة

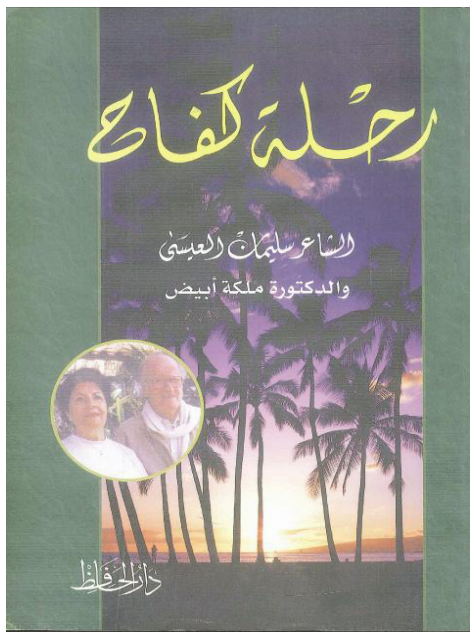

دمشق، بعد أن كنت قد حصلت على الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت.

وفي هذا العام بالذات يبدأ سليمان تجربته الفريدة في الكتابة للأطفال، ويجعلهم همه الأول.

لقد أحس بعد نكسة حزيران أن مرحلة كلها قد احترقت ولابد له أن يبحث عن نافذة للخلاص.

وقد وجد النافذة في عيون الأطفال.. كما يذكر هو في غير مكان من كتاباته وأحاديثه.

إن سليمان لا يكتب للصغار ليسليهم، كما يذكر في مقدمة «ديوان الأطفال». إنه ينقل إليهم تجربته القومية، تجربته الفنية، تجربته الإنسانية.

من هنا نراه لا ينسى أن يكتب للأطفال عن طفولته في قريته الصغيرة على ضفاف العاصي، بجوار مدينة أنطاكية في اللواء السليب:

. يكتب عن بيته الصغير الذي بنوه بأيديهم من الحجر والطين:

عن سقف القرميد الأحمر مثل جناح العيد
وخطوات النهر التي توشوشه صبحاً ومساء

ويكتب عن أبيه الشيخ أحمد قائلاً:

في الحارة الصغيرةْ
في بيتنا القرميد
عاش أبي يكافح الأيام يا صغار
كان وديعاً كنسيم الصيف، كالأشعار
يعلم الصغار والكبار
في بيتنا، يعلم القرآن
والصرف والنحو،
وحسن الخط والبيان
شيخٌ يحب الناس مبصرين
يقاتل الظلام بالحرف الذي يبين

. ويكتب عن أمه القروية البسيطة قائلاً:

حلوة الطلعة كانت
تغمر الضيعة حبا
لم تكن تقرأ أو تكتب،
كان العلم صعبا
عوضتنا عنه قلبا
يسع الدنيا مُحبّا

في أعماله الشعرية التي صدرت في أربعة مجلدات..

وفي سيرته الذاتية..

وفي دواوينه الأخيرة التي حملت عناوين: «الثمالات»، و"الكتابة بقاء"، و"كتاب الحنين"، و"همسات ريشة متعبة"، ولعلها أنضج ما أعطى حتى الآن..

وفي كل ما كتبه للأطفال من أناشيد، وقصص شعرية، ونثرية ومسرحيات غنائية..

وفي كتابه الهام الذي قدم به شعراء العرب للصغار بعنوان «شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال»..

وفي مئات القصص التي عربناها معاً من الأدب العالمي، وشارك في بدايتها بعض الزملاء، والتي صدر قسم منها عن دار طلاس في دمشق، وما تزال الأقسام والمجموعات الأخرى تصدر تباعاً عن دار الفكر ودار الحافظ بدمشق.

وفي ديواني «حدائق الكلمات» و«أراجيح تغني للأطفال» اللذين أضافهما الشاعر إلى القصص المعربة، واستوحاهما منها، وهما لا يقلان في رأيي عن «ديوان الأطفال» و«فرح للأطفال»...

في هذا النتاج الضخم كله يظل الحلم العربي الذي فتح سليمان عينيه عليه في لواء اسكندرونة. كما ذكرنا. يظل هو المحرك الأول، والينبوع الأول، لكل ما يكتب. بل هو الدليل الذي يقود سلوكه، ويضيء حياته، والذي يتجلى أول ما يتجلى في النضال من أجل قضية العرب الكبرى: الوحدة العربية، القادرة وحدها على أن تعيد لوجودنا العربي كرامته ومعناه، والتي خاطبها ذات يوم قائلاً:

أطلي علينا وحدةً، طيف وحدة..
بريقاً، سراباً، كيفما شئت فاقدمي
وهبتك عمري.. ما وهبت سوى الظما
إليك، أنا الحادي القتيلُ، أنا الظمي

وإني لسعيدةٌ، كما هو سعيد، أن أكون قد شاطرت سليمان أحلامه وأفكاره وحياته، منذ لقائنا الأول حتى الساعة.

لقد كانت طريقاً واحدة، وحياةً واحدةً، وأحلاماً واحدة عشناها معاً، وشاركنا معاً في صنعها خطوةً خطوة.

وربما كانت العبارات التي ختم بها إحدى خواطره الشعرية ذات يوم، وهو يتحدث عن مشوار العمر الذي قطعناه معاً.. ربما كانت تلك العبارات أحسن ما أختتم به هذا الحديث الخاطف القصير.

يقول سليمان في خاطرته الجميلة التي كتبها في عيد زواجنا الثاني والثلاثين، على طريقة حديث شهرزاد في ألف ليلة وليلة:

«الليلة الثانية والثلاثون..
العام الثاني والثلاثون..»
لا أدري، أيها الملك السعيد، ماذا أسمي هذا الحلم، هذا الطريق الطويل الذي قطعه «خولان» و«خولة».. يدين متشابكتين، وقدمين على الأرض، وعينين لا تنسيان القمر والنجوم، مهما انهار الضوء، وعربد الظلام.. ولفظت أنفاسها النجوم.
إنهما ما يزالان معاً.. على طريق الحياة.
أحلامٌ تتبدد.. وتتجدد
وكفاحٌ لا يهدأ..

يرتاحان قليلاً.. ويتعبان كثيراً
يشقيان.. ويسعدان..
يفرحان.. ويتألمان

يحققان بعض ما يريدان..
ويصدمان في الكثير مما يريدان.
شيءٌ واحد.. قررا معاً أن يكون الخيط العميق المتين، الذي يربط أعماق حياتهما، ويهب وجودهما معناه هو:
إرادة التطلع والتجديد..
ومعاداة الراكد والبليد..

إن لم يكن تجديد العالم.. كما كانا يرددان دائماً.. فليكن تجديد ذاتهما، وإضاءة حياتهما، قدر ما يستطيعان،
وهنا.. أدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح..»
دمشق: ١٣/٩/١٩٩٩م

×من مقدمة كتاب (سليمان العيسى في لمحات)، د. ملكة أبيض. الهيئة العامة السورية للكتاب. وزارة الثقافة ٢٠٠٩م.

سليمان العيسى .. جمرة الضاد (*)

• نزار بني المرجة

هو الناسك اليعربي.. قديس الكلمات النافرة في الذاكرة والوجدان..، ولأنه «سليمان» كان حكيماً.. بل على درجة عالية من الحكمة.. ولأنه «العيسى» كانت المحبة قدره في حله وترحاله..

كان الأقدر بلا منازع على الإمساك بـ. الجمرة. والقبض عليها وسط دهشة وحذر الجميع.. وأية. جمرة.؟ إنها «جمرة الضاد» في زمن نشهد فيه حملات عدوانية تهدف إلى محونا كعرب وهوية..، وفي زمنٍ أصبحت فيه. الضاد. الشيفرة الوراثية الوحيدة الباقية التي نعلق عليها الآمال ونعول حتى يستمر بقاؤنا كعرب في هذا العالم.. فأي عظيم أنت يا «سليمان العيسى»؟ وأية مهمة رشحك القدر لها وكلك يقين بالقدرة على الإمساك بالحلم وتجسيده واقعاً.. في لحظة ما.. أو مع ولادة جيل ما، رحلة امل لا يعرف الكلل أو الملل استغرقت قرابة قرن من الزمن، وأنت تقبض بقوة على «جمرة الضاد» بأصابعك الطاهرة التي كانت تنير وتتوهج دون أن ينال منها الحريق!.. لأنك تؤمن أنها الوحيدة (مثلما كنت أنت الوحيد). القادرة على تجسيد واختصار حلمنا العربي..

والسيرة طويلةٌ... بل طويلةٌ جداً، وجديرة بأن يتوزع الإلمام بتفاصيلها العاشقون على امتداد خارطة الوطن/ الحلم.. الخارطة التي لامست أصابعك أسلاك حدودها من المحيط إلى الخليج، ومن طوروس وأنطاكية إلى صنعاء وجزر القمر.. الخارطة التي تماهيت فيها روحاً وجسداً، فعرفتك حماه وحلب وعرفتك صنعاء وعدن مثلما عرفتك بغداد وعرفتك الجزائر ووهران وتطوان، تماماً مثلما عرفتك دمشق، لأنك برهنت على قدرتك الفائقة على توزيع سنوات العمر عليها جميعاً.. عربياً مؤمناً مقيماً.. لا عربياً سائحاً عابراً!! وهنا تكمن واحدةٌ من أبرز معجزاتك، فيا لفرحة العواصم والمدن بوجودك في كل منها عقلاً وروحاً!، ويا لحلمك الجميل الخالد بأمة واحدة ووطن عربي واحد تجسده عبر حلك وترحالك حاملاً رسالتك العظيمة النبيلة.

تبدأ الحكاية منذ ولادة شاعرنا الكبير سليمان العيسى في قريته «النعيرية» قرب أنطاكية في العام ١٩٢١، ودراسته الأولى على يد معلمه الأول والده المرحوم الشيخ (أحمد العيسى) وليحفظ خلالها القرآن الكريم والمعلقات وأشعار عنترة وامرؤ القيس وأبي تمام والبحتري..

ولأن سمته النبوغ فقد بدأ شاعرنا الكبير دراسته الرسمية مباشرة من الصف الرابع. وبعد مؤامرة إلحاق لواء اسكندرون بتركيا وسلخه عن الوطن سورية، يتوجه إلى حماه ثم اللاذقية ثم دمشق، ويسافر بعدها إلى بغداد.. ويحصل على إجازة في الآداب العالمية والتربية عام ١٩٤٧، وليكون هناك نداً حميماً لبدر شاكر السياب ونازك الملائكة، وليكرس منذ ذلك الوقت واحداً من أعلام الشعر العربي الحديث.. وينتقل بعدها إلى التدريس أستاذاً كبيراً في سلك التعليم، ليصبح بعد سنوات موجهاً أول للغة العربية في وزارة التربية والتعليم في سورية، وليرأس تحرير مجلة. المعلم العربي. ويُسمى بعدها عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق، وليكون أيضاً واحداً من أبرز مؤسسي اتحاد الكتاب العرب.. ولم يكن مفاجئاً حصوله على جائزة. اللوتس. من اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا، وجائزة شعر الأطفال من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألسكو)، كيف لا وهو الذي رأى ببصيرته النافذة، عند وقوع نكسة حزيران المشؤومة عام ١٩٦٧، أن أحد أهم أشكال الرد المناسب لتجاوز تلك النكسة، إنما يتجلى بالتوجه إلى الطفل العربي لخلق جيلٍ عربي جديد مؤمن بأرضه وماضيه ومستقبله.. وهكذا كان شاعرنا العربي الكبير سليمان العيسى الرائد الأول في الشعر الموجه للأطفال العرب.. كان رائعاً في ملحمته الشعرية. القطار الأخضر. التي أرادها رحلة شعرية غنائية للأطفال العرب تتألف من واحد وعشرين نشيداً (بعدد الأقطار العربية) حيث يذكّر أطفال كل قطر عربي بأمجاد العروبة التي شهدها قطر كل واحد منهم، ولتصبح تلك الأناشيد في محصلتها سيمفونيةً للحلم العربي المنشود..

..أجل عشرات الكتب والدواوين والمسرحيات الشعرية والقصائد الطافحة بالأمل وحب الحياة، والإخلاص للحلم القومي العربي لشاعر كبير هو بحق شاعر الأجيال العربية، كيف لا وقصائده موزعة في مناهج اللغة العربية على امتداد الوطن العربي؟ ولأن مسيرته لم تتوقف فقد كان من آخر ما سمعناه منه في حفل تأبين رفيق رحلة نضاله الشاعر العربي الكبير الراحل محمود درويش على مدرج مكتبة الأسد بدمشق قصيدته «الفلسطيني الطائر» والتي قدم لها بقوله:

((محمود درويش صوت فلسطين المدوي، لم يرحل، وإنما بدأ الحياة الآن..))

ولأن الأرواح تلتقي في السماوات مثلما في الأرض، فقد شاء القدر أن يتزامن رحيلك يا شاعرنا الكبير سليمان العيسى مع ذكرى رحيل شاعرك الفلسطيني الندّ محمود درويش..

فأية إرادة.. إرادتك، وأية نبرة صوت مجلجلٍ في روحك تحمل الإصرار على تحقيق الحلم؟

تلك عبارات مكثفة جداً في سيرة نضال طويل لشاعرنا الكبير سليمان العيسى، ويجب أن لا يغرب عن البال حقيقة وجود امرأة عظيمة، إلى جانب شاعرنا العظيم.. إنها رفيقة دربه الأديبة الدكتورة ملكة أبيض التي أثلجت الصدور بترجمتها لفصول كتابه الهام (أوراق من حياتي) والذي صدر باللغتين العربية والفرنسية عن وزارة الثقافة في سورية قبل عدة سنوات مجسداً تجربة فريدة لشاعر كبير وأديبة كبيرة يفخر بهما أدبنا العربي المعاصر.. مثلما تفخر بهما وبمسيرة عطائهما الأجيال.

«سليمان العيسى» ها نحن اليوم في حضرتك.. يا قديس. جمرة الضاد. وقديس الإرادة والحلم العربي.. الذي أصبح الكثيرون يرونه سراباً، وبقيت تقبض عليه جمراً وصروحاً وتراباً.. وتذود عنه بالقصائد والأناشيد..

ميدانك التاريخ وسلاحك المجد والشهداء وإعداد الأجيال والأطفال.. لصنع مستقبل العرب المنشود..

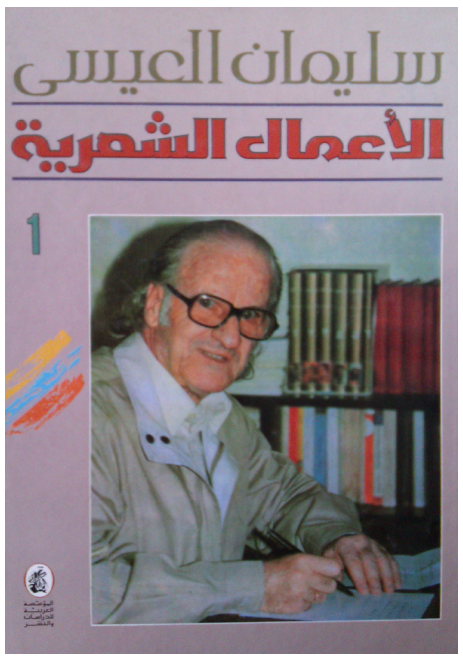

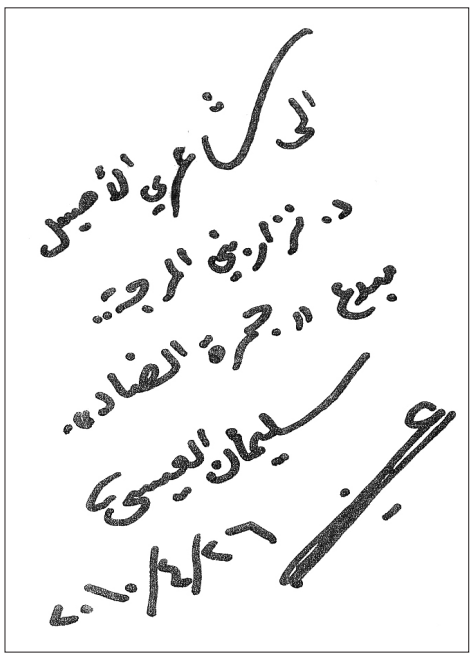

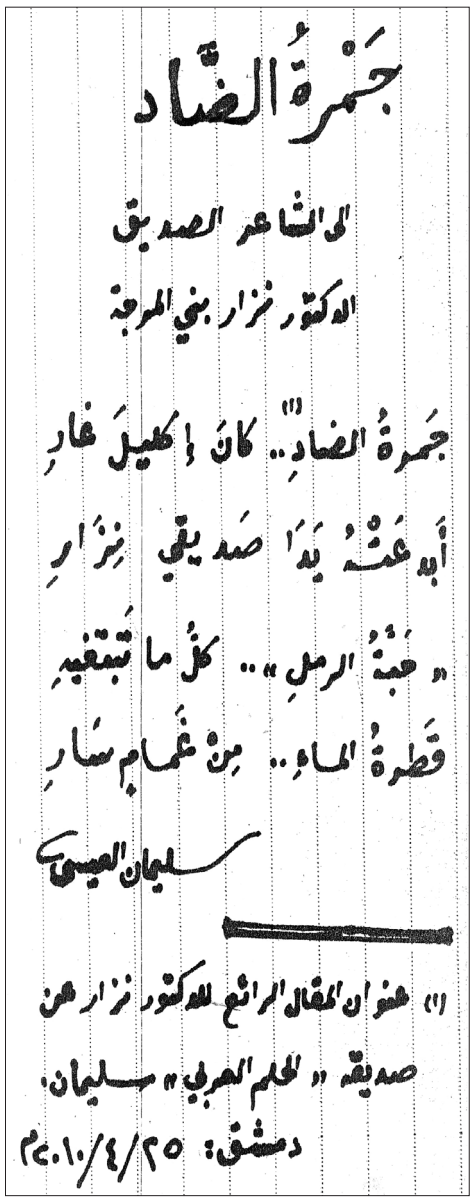

جَمْرةُ الضّاد

الى الشاعر الصديق
الدكتور نزار بني المرجة

جَمرةُ الضادِ.. كانَ إكليلَ غارِ
أبدعَتْهُ يَدا صَديقي نِزارِ
«جَمْرةُ الرملِ».. كلُّ ما تَبتغيهِ
قَطرةُ الماءِ.. مِنْ غَمامٍ سَارِ

سليمان العيسى

(*) هو ان المقال الرائع للدكتور نزار بني المرجة صديقه «الحلم العربي» سليمان العيسى، دمشق: ٢٥/٤/٢٠١٠م

رئيس بلدية "النعيرية" والسيد محمد قرصو وسط المحتفين في قاعة البلدية

• من كلمة ألقيت في حفل تكريم الشاعر في أنطاكية وفي قريته «النعيرية». في لواء اسكندرونة. بتاريخ ١٩ و٢٠/٢/٢٠١٠م.

"النعيرية" تحتفي بشاعرها العربي الكبير سليمان العيسى

مع شقيقة الشاعر وأسرته

صورة من الحفل في ساحة قرية "النعيرية"

أجل كان ذلك بعد ظهر يوم الجمعة في التاسع عشر من شباط ٢٠١٠، وبدعوة ومبادرة مشتركة ومشكورة من الأديب الدكتور محمد قرصو رئيس فرع اتحاد الكتاب في أنطاكية، ورئيس بلدية قرية «النعيرية» والجمعية الثقافية في أنطاكية..، حيث شارك مجموعة من الأدباء السوريين وهم (د. علي عقلة عرسان.د. نزار بني المرجة.أ. مالك صقور.أ. مريم خير بك.أ. نظمية أكراد) وعدد من أدباء لواء اسكندرون وهم (د. محمد قرصو.أ. آصف بيلور.أ. سهى قاياق.أ. نبيهة قرصو.أ. سيفيم حبيب) في احتفال كبير حضره جميع سكان قرية «النعيرية» مسقط رأس الشاعر العربي الكبير سليمان العيسى..، وكان يوماً مشهوداً رغم الأمطار وبرودة الطقس، حيث احتشد أهالي «النعيرية» ضمن وأمام مبنى البلدية واستمعوا إلى الكلمة المسجلة بالصوت والصورة وعبر شاشة كبيرة وجهها الشاعر الكبير إلى أهله وقريته، وكانت كلمة مؤثرة فاضت لها دموع الحضور، بعد أن عبر من خلالها عن شوقه ومحبته لقريته وأهله وجيرانه ورفاق طفولته وشبابه.. ثم تتالت كلمات الأدباء وأقارب الشاعر ورفاق دربه بعد قرابة سبعين عاماً لمغادرته القرية ولواء إسكندرون السليب..

وكان من الجميل والرائع أن يتكرر يوم التكريم بكل تفاصيله وكلماته في اليوم التالي في مدينة «أنطاكية»، وذلك في قاعة غرفة الصناعة والتجارة في مدينة أنطاكية بحضور رسمي وشعبي كبير، ووسط اهتمام إعلامي ملحوظ من محطات التلفزة والصحافة والإعلام في تركيا..، كما قام وفد الأدباء السوريين بزيارة منزل الشاعر العربي الكبير سليمان العيسى في قريته «النعيرية»، واللقاء مع شقيقته وأفراد أسرته وبنات شقيقه اللذين لا يزالون يعيشون في البيت ذاته في «النعيرية» في حارة بساتين العاصي بالقرب من ضفاف العاصي والتي طالما تحدث عنها الشاعر في قصائده وكتاباته..، وقام كاتب هذه السطور مع سهام وسميرة ابنتي شقيق الشاعر بجمع حفنة من تراب شجرة التوت في حديقة بيته والتي كتب في أفيائها أولى وأروع قصائده.. وقدمها هدية للشاعر بعد العودة إلى دمشق وبعد أن دون عليها الأبيات التالية:

التراب العشيق

أبانا الذي صاغ وهج الكلام
وشقَّ الدروبَ لنُعلي الندا
حملتُ الترابَ العشيقَ إليك
ويا ليتني كنتُ ذا الهدهدا
لأنقلَ صورة بيت عتيقٍ..
يحنُّ إليك وكم قد شدا
زرعتَ نشيدكَ في ألف جيل
وحقَّ لروحكَ أن تحصدا
أردتَ العروبةَ حصناً حصين
أردتَ الصباحَ لنا موعدا
كأنَّ التراب أتون الكلام
و«جمرةُ ضادكَ» لن تخمدا!

وقد تقبلها الشاعر الكبير بتأثر بالغ واعتبرها أجمل هدية في حياته

رحم الله شاعرنا الكبير الخالد سليمان العيسى

من إصدارات الشاعر الكبير سليمان العيسى

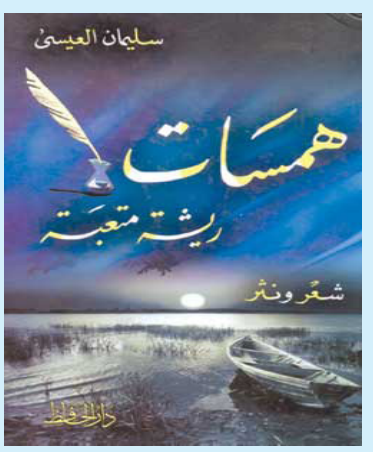

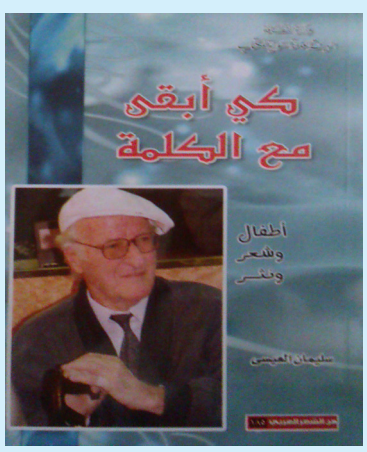

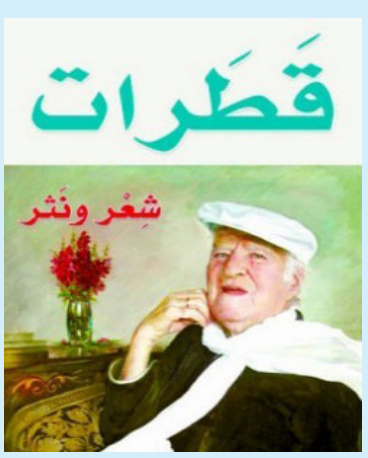

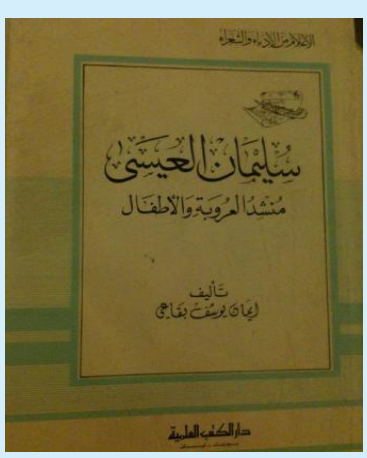

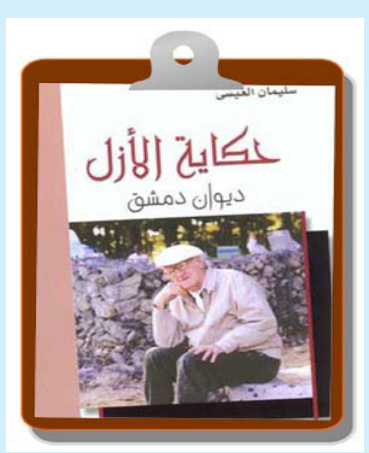

لقائي الأول مع سليمان العيسى

• نزار بريك هنيدي

رأى الشاعر أن العيد جاء هذا العام، من دون أن يجد أطفالاً يبتهجون به ويغنون له، فلملم أوراقه، وحمل أغنياته، وغادرنا إلى العالم الآخر، فقد يجد هناك من يصغي للشعر، ويغني للطفولة والمحبة والسلام..

هكذا رحل سليمان العيسى عن عالمنا في أول أيام عيد الفطر، تاركاً لنا أغنياته التي صبغت طفولتنا بخضرة الشعر العذب، وقصائده الوادعة التي أفعمت نفوسنا بالحماس القومي والتوق إلى الحريّة، وذكرياتنا عن شخصيته الوادعة التي ما فتئت تشع بالنبل والنقاء.. وربما كانت ذكرى لقائي الأول به، من أهم الذكريات التي ما زالت تعيش في نفسي، وتزهر على شفتي كلما رويتها لأصدقائي. فقد كان الانتساب إلى اتحاد الكتاب العرب، يتطلب تزكية من اثنين من أعضاء اللجنة الخاصة بقبول الأعضاء. لذلك قال لي الشاعر الأستاذ شوقي بغدادي، وكان شديد الحماس لي بعد أن كتب لي مقدمة ديواني الأول: عليك أن تحصل على تزكية ثانية من الأستاذ سليمان العيسى أيضاً، ويمكن لك مقابلته في وزارة التربية حيث يعمل كمفتش أول للغة العربية. كان

اسم (سليمان العيسى) وقتها ملء السمع والبصر، لا سيما بالنسبة إلى طالب لم يطل به العهد على مغادرة المرحلة الثانوية، كما أن مجرد ذكر كلمة (مفتش أول) كانت كافية لبث الرهبة في نفس الشاب الصغير، فما بالك بدخول (وزارة التربية) نفسها!. مع ذلك ذهبت إلى الوزارة، وسألت عن مكتب الأستاذ سليمان العيسى. كان المكتب يغص بالزوّار والمراجعين، وكان الأستاذ منهمكاً في عمله، يوقّع ورقة، ويستلم أخرى، من دون أن يرفع رأسه عن طاولته إلا لماماً.. وقفت خجلاً قرب باب المكتب، أنتظر، إلى أن حانت لفتة منه باتجاهي، ويبدو أنه حدس أنني أختلف عن مراجعيه من المدرسين والموظفين، فقلت: أنا نزار بريك. وقبل أن أكمل كلامي قال: نزار بريك هنيدي؟ فوجئت أنه يعرف اسمي الكامل، فقلت متلعثماً: نعم. فما كان منه إلا أن خرج من وراء طاولته واتجه نحوي فارداً ذراعيه قائلاً: أهلاً بك أيها الشاعر، كنت أنتظر أن أراك بعد أن قرأت لك كثيراً!! ووسط دهشة المراجعين أجلسني جانبه وراح يحدثني عن إعجابه بديواني الأول- (البوابة والريح ونافذة حبيبتي) ويروي لي النقاشات التي دارت بينه وبين عدد من الشعراء الآخرين حوله.. وأنا صامت خاشع كأنني في حالة من الذهول، فما كان يخطر لي أن- (سليمان العيسى) نفسه قد قرأ لي وأعجب بي ودافع عني.. وعندما قلت له إنني قادم إليه من أجل الحصول على تزكيته لعضوية الاتحاد، قال: مثلك من يجب أن يكونوا أعضاء في الاتحاد وسأعتزّ في يوم من الأيام أنني قدمتك لعضوية الاتحاد.. كانت النشوة قد بلغت بي مبلغاً لم أعرف كيف ودّعته، وخرجت من مكتبه شاعراً أن الدنيا كلها تبتسم لي وتفتح ذراعيها لاستقبالي.. وعرفت يومها ماذا يعني أن يكون الإنسان كبيراً حقاً. وعلى الرغم من أنني مافتئت أروي هذه الحادثة، منذ أكثر من ثلاثين عاماً، إلا أنني أرويها اليوم لأقول: وداعاً أيها الكبير الكبير.

إلى سليمان العيسى الذي غادرنا في الزمن الصعب

• محمد حديفي

قليلةٌ هي لحظات الصحو في زمن الحروب، زمن انتصار المعصم على القيد، والضحية على الجلاد، وإرادة الحياة على صناعة الموت.

وفي لحظات الصحو القليلة تلك، وحينما نرى قطعان الموج الأسود الذي يداهمنا ويطوق أحلامنا البريئة من كل حقد، ندرك ودونما عناء أو جهد بأننا نعاقب، لأننا شعب اختار لنفسه أن يكون أبياً وسيداً، ولا يرهن كرامته ووجوده وكبرياءه وتاريخه لأية قوة في الأرض مهما بلغت قوتها وعظم جبروتها وحملت ما تحمله من أدوات القتل والإجرام، وبذلك يكون عليه أن يدفع الثمن ولكنه الثمن المشرف لأنه ثمن استقلال القرار وحرية الإرادة.

في هذا الزمن الصعب حيث نتمترس أباة أعزاء في خنادق الوطن، ونوقّعُ أنفاسنا على صدى كبريائه ندرك أننا ماضون إلى حيث يجب أن يكون الأباة الذين رضعوا حليب الكرامة مع حليب الأمهات، واختاروا لأنفسهم الطريق الصعب في الزمن الصعب..

ومن هنا ولكي يكون سليمان العيسى مطمئناً حيث يرقد الآن نقول له: نحن أبناء مدرستك، مدرسة العزة والكرامة والوطنية، والتي تعلمنا في رحابها الرفض حينما يكون الرفض فضيلةً، والأمل حينما يكون الأمل طريقاً للنصر، والتضحية حينما تكون التضحية من أجل الوطن وتراب الوطن. ندرك بيقين ساطع أننا نسلك الدرب المشرف الذي عبدته لنا أيام كنت فارساً لمنابر الكرامة وصوتها الصادح وعنوانها المضيء.

لقد غادرتنا والوطن أشد ما يكون بحاجة لأمثالك. يا أيها الرافض للذل والخنوع الصادح باسم العروبة والداعي لإعلاء صوتها مهما كان الثمن ومهما بلغت التضحيات.

سليمان العيسى: هل كنت تدرك بفراستك بأنه سيأتي يومٌ يكون فيه القابض على عروبته كالقابض على الجمر؟؟

أو ليس جل أشعارك دعوة للصمود في الزمن الأسوأ؟؟

حين ننظر حولنا، الآن نرى دعاة العروبة الذين يوهمون الآخرين بحرصهم عليها قد باعوها بأبخس الأثمان.

ونرى فلسطين التي طالما تغنيت بعروبتها وقداستها، وسخرت أشعارك لعودتها لأهلها وأصحابها الشرعيين، قد تحولت سلعةً تباع لمن يدفع أكثر!!

لم يبق في الساح إلا أهل الساح يا سيدي.. ولسوف نبقى حتى يُكتب لنا النصر، أو لست القائل؟؟:

أمة العرب لن تموتي وإني
أتحداك باسمها يا فناءُ

إذاً، هذا هو الزمن الصعب الذي نبهتنا إليه، ودعوتنا من خلال ما كتبته من شعر أن نكون أكثر صلابة، وأكثر صموداً وأكثر استعداداً لأنه سيأتي إلينا يوم نجابه فيه الأسوأ، والأكثر قسوةً واسوداداً.

لوكنت بيننا الآن لكنت أكملت مشوارك الذي سلكته في عمرك المديد الذي صرفته منشداً لمجد العروبة وبراءة الطفولة والعشيات الساحرة الآسرة وفتحت لنا كعادتك قلبك الكبير ليتسع لهمومنا وجراحنا.

أولست أنت الذي كنت تتلقانا مبتسماً، وإذ نشكو إليك خيباتنا، تبث فينا الطمأنينة وتزرع في نفوسنا الأمل، فنعود وقد هدأت النفوس، واطمأنت القلوب، وانداحت أمامنا فسحة من الأمل والضياء؟؟.

سورية الآن يا سيدي تكتب سفراً جديداً للعروبة، سيكون قطعاً أكثر خلوداً وأكثر بهاءً وأكثر نقاءً، وحدها تجابه كل الفاسدين في الأرض، وحدها تفك حلقات الطوق الأقسى، وحدها ستنتصر على كل الذين لفظتهم شعوب الأرض، وتبرأت من وحشيتهم، لقد جاءوا إلينا ولم يأتوا مبشرين بالنور والصبح، وإنما جاءوا مدججين بالحقد والكراهية، ومعهم أدوات القتل والإجرام، فحيثما حلوا يكون الموت وتكون الدماء.

سورية الآن يا سيدي تدرأ عن نفسها الموت، وتسير واثقة نحو الحياة، نحو الصبح نحو النصر. فشعبها الذي بنى لها أسوارها العالية، يتمترس صامداً خلف الأسوار، ويدرك أن معركته هي معركة الشرف والكرامة ومعركة الوجود.

وجيشها الذي أقسم بأنه سيذود عن تراب الوطن حتى آخر قطرة من دمائه سيظل صامداً في ساحات الشرف، ولسوف يكتب التاريخ كيف أن سورية وحلفاءها الشرفاء قهروا أعتى وأشرس وأسوأ قوة في التاريخ.

سليمان العيسى أيها الشاعر المعلم، نم قرير العين، هانئاً فلقد أديت الرسالة كاملةً، وزرعت فينا بذور الرفض المحق، ورسمت أمامنا الكثير الكثير من فسحات الأمل.

سـلامٌ على شـاعر الطفولة والعروبـة

• غالية خوجة

لم ينم، مذ البارحة، البستانُ الشاعر، ولا عمي منصور النجار، ولم تستطع الغيوم أن تتحرك مع الريح إلاّ بعدما زرعت بذرة تشبه وجهه الطفولي في تربة البلاد العربية بدءاً من سوريا ولا انتهاء في فلسطين والعراق واليمن والإمارات، وأيضاً، الأبجدية حملت بذورها، وانطلقت إلى المجرات لتنثر الهالات هناك، فيلتقطها الأطفال من عرائش قصيدة أحب أمي، ويتماوجون بمحبة مع لازمة: "مطر.. مطر.. مطر"، منتظرين عطاء السماء من محبة وسلام وأمان، محدقين بين الفصول ليروا وجهه وقد ابتسم على الرغم من عناء الحياة، وتراكُم الجهات، وحقائب السفر، والحروب، والتشرد، والاغتراب، والبحث عن المجهول ليقف أمام المستحيل وجهاً لوجه، بكل بساطة وعفوية وبشاشة..

له في كل نبضة طفل قصيدة، وللدكتورة ملكة أبيض، كل هذه النبضات والأطفال..، ولي، تلك الأناشيد التي رددتها وغنيتها منذ الصف الأول الابتدائي، وأنا أرجو طلاب الصف الثاني والثالث على أن يعيروني كتاب المحفوظات لأحفظ أناشيد أخرى.. لم تكن تدري خافيتي بأن شعره كان أهم ما خطفني إلى الشعر، ولم تكن تعلم لغتي بأنها تُبحر في الجحيم الموسيقي، بألوانه الخضراء والبنفسجية والأرجوانية، لتتذكر شجرة التوت التي تظلل بها سليمان العيسى ذاتَ حلم، وقصيدة، وهاهي كلماته ترنّ جذوراً، جذوراً، ليتظلل بها أطفال العرب وًالعالم، فيا قطرات المطر الساقط يا قطرات، كيف نسيت الحقل الشاعر يا قطرات؟ عودي إليه، وتأرجحي مع مخيلته الصافية، وخطّه العريق بالحضارة، وانتظري، قريباً من قصائده، لعلك إذا ما طرقت أبوابَ النور، انفتحت الأمواج المسحورة، ورحلتْ بك إلى الثمالات، متأملة (مع الفجر/حلب (١٩٥٢)، ساردة ومترجمة وعابرة إلى رحيقها الأول، وكلامها المعتّق، وسحرها الذي يفوح مثل الخلود.

سليمان العيسى، يا شاعر الضاد والطفولة والعروبة، سلامٌ على تربة ستخضرّ بالكلمات، وأصوات الأطفال وهم ينشدون قصائدك، سلامٌ على وقت تحرك معك بين اسكندرون والعالم وحلب ودمشق، سلام على الدكتورة ملكة، وهي تقول لي على الطرف الآخر من الهاتف: أنا، أيضاً، لا أعرف ماذا أقول! وكيف سأحيا من دونه؟ (٣٣) سنة، ونحن معاً.

سلامٌ على براءته وهي ما تزال تكتب، خلسةً، من الريح، ما تزال تكتب القصيدة التي تقول عند اثنين تلاقى الله والبشر: الشهيد والشاعر، فكن حنوناً أيها الغيم، واشهدْ أنك دمعنا كلما جاء مطرٌ، ولم يغبْ مطر.

سليمان العيسى.. زرع الحب والأمل وأنشد لمجد العرب

• محمد مروان مراد

«حياتي كلها ما زالت رحلة مرة، وسفراً بين الشوك والصخر والنار والجليد.. في هذا الزمن العربي المهشم والذي هشّمنا معه ألف مرة، لكنني ما زلت متشبثاً بحلمي العربي الذي فتحت عيني عليه.. إن جذوري ما تزال في أعماق هذه الأرض، وسيأتي بعدنا من يُشعل النار في هذا الهشيم ويحرّك الحياة في هذا التابوت».
سليمان العيسى

كنت في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، طالباً في دار المعلمين بدمشق، وكنت في عداد الفائزين بجائزة النشاط الأدبي، وتسلمت الجائزة من مدير الدار الدكتور شاكر مصطفى المؤرخ القدير والأديب اللامع، وهي المجموعة الشعرية الأولى للشاعر العربي المجيد: سليمان العيسى.. في تلك الأمسية، وأنا أتنقل بين قصائد المجموعة تعرّفت إلى الشاعر لأول مرة.. ومن يومها بدأتْ مسيرتي مع «سليمان العيسى» التي تجاوز عمرها نصف قرن، وبلغ إنتاجه فيها أكثر من ست مجموعات شعرية للكبار، ونحو خمسة عشرة مجموعة للأطفال.

رحلة طويلة أمضى العيسى أيامه فيها، منذ فتح عينيه على نور الحياة عام ١٩٢١ بقرية «النعيرية» حارة بساتين العاصي، إلى الغرب من مدينة أنطاكية بلواء الاسكندرون الذي اقتطعه المستعمر الفرنسي من جسد سوريا، وأهداه لتركيا في مطلع الحرب العالمية الثانية.

تلقى «العيسى» تعليمه الأولي على أبيه «الشيخ أحمد العيسى» وتحت شجرة التوت المعمّرة التي احتضنته بظلالها، حفظ القرآن الكريم وكان في السابعة من عمره، واطلع على أدب العرب متنقلاً بين المعلقات وديوان المتنبي، وبين قصائد شوقي وحافظ ومطران والزهاوي وبدوي الجبل، وأدهش أقاربه حين كتب شعراً يحكي عن هموم الفلاحين والفقراء، ولما دخل المدرسة الابتدائية بمدينة «أنطاكية» وضعه المدير في الصف الرابع مباشرة. وقد مثّل انتزاع «الاسكندرونة» من الوطن، جرحاً نازفاً في روحه، جعله يأخذ على نفسه عهداً صادقاً ألا يألو جهداً في سبيل استرداد ما اغتصب، وابتدأ رحلة نضال وكفاح وحلم ساكن مقيم لا يبرح في عودة الأرض، ورسالة يحملها للأجيال الطالعة ويزرع فيها الأمل، وهاجر العيسى مرغماً ممتلئاً بالحزن والمرارة لفراق مهد طفولته الذي ملأ قلبه وعقله بأرهف المشاعر. كانت محطته الأولى «دمشق» وفيها التقى كوكبة من أقرانه: د. وهيب الغانم، وصدقي اسماعيل، وفايز اسماعيل، ويوسف شقرا وإبراهيم فوزي وغيرهم، تحلقوا حول أستاذهم «زكي الأرسوذي» وتلقّوا عنه فكرة البعث العربي التي التقت مع حركة «الإحياء العربي» وكان من دعاتها: مدحت البيطار، شاكر مصطفى، صلاح الدين البيطار، وانتهت إلى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي. وفي هذه الفترة أصدر «العيسى» ديوانه الأول «أعاصير في السلاسل» الذي تلقّفه الشباب العربي بحماس شديد، جعله شاعر البعث العربي بجدارة. انتقل «العيسى» بعد ذلك إلى بغداد لمتابعة دراسته الجامعية بدار المعلمين العليا، وتعرَّف هناك إلى قمم الشعر العربي: محمد مهدي الجواهري، وبدر شاكر السيّاب، ونازك الملائكة، فزادت تجربته الشعرية عمقاً وحداثة، مكّناه من إعطاء الشعر العربي لغة شعرية جديدة، تتميز بجزالة اللفظ وموسيقا الشعر وعمق الدلالة، وظهرت قصيدته سهلة ميسورة الفهم والحفاظ، فحفظها الطلاب العرب في المدارس والجامعات عن ظهر قلب.

تخرّج سلميان العيسى من دار المعلمين العليا ببغداد، فرجع إلى سوريا حيث عمل لفترة طويلة مدرّساً للغة والأدب العربي في حلب، وكان في تلك الفترة يمارس نضاله الوطني بوطنية وصلابة، فأسهم بالشعر والكلمة الملتهبة في الدفاع عن قضايا الأمة العربية. وعمل مع رفاقه في توزيع المنشورات الحزبية التي تهاجم سلطة الانتداب الفرنسي، فتم اعتقاله، لكن السجن لم يزده إلا إصراراً وصموداً ومضياً في دروب الثورة والمقاومة..

حمل الشاعر العيسى في صدره أحوال الفقراء والكادحين والثوار المتطلعين للحرية، وصار ناطقاً باسم المناضلين يتجاوب مع آلام الجماهير وأفراحها:

«ما زلت أذكرها في الشام قافلة
من الجياع وما زال الرفاق هم
ناموا على الأرض.. أرض الشعب فامتزجت
بلحمهم ثورة في الشعب تحتدم
وعضّنا الجوع فاقتتنا ببسمتنا
وهدّنا البرد لم ترتعش بنا قدم
هذي الصخور سلكناها على ثقة
أنّا عليها – ولم نندم – سننحطم
للمعول الصلد عهد في سواعدنا
ألاّ يُرَد وفي ساحاتنا صنم»

وجسّد العيسى نموذجاً للشاعر الذي شارك الأمة انتصاراتها وهزائمها، فانتشر شعره في الوطن العربي من محيطه إلى خليجه، ولم يترك مناسبة لم يقدم فيها شعراً قومياً تهتز له القلوب والمشاعر..

أنا للعروبة مذ رأيتُ النور
كنتُ ولا أزالا
أنا للحياة.. لأمتي
رشداً تراني أم ضلالا
أنا وحدة يا سيدي
عربية تأبى انفصالا

كان الشعر القومي سمة نتاجه والطابع المميز له، فهو يلقي بظلاله على كل ما يحيط به في هذا العالم من حزن وفرح، من حب وكُره، ومن إقدام وإحجام، وكل ما اقترن بحياته من وطن وأجيال وثورة وثوار، فينبع شعره من العروبة وفيها يصب:

أنا في أعماق قومي صرخة
تتشظّى لا قصيدٌ يُقرأ
حسبٌ لحن ينتهي في وتري
أنه في صدر غيري يبدأ

– مع ثورة الجزائر: عايش ثورة الأحرار في الجزائر وصوّر آلام الشعب الجزائري في نضاله الفذ ضد الاحتلال وحين ارتفع علم الحرية على الأوراس هتف منشداً:

آلاف الأقدام الصُلبة
موسيقا تنسجها تربة
عُجنت بوميض الأحداق
بالحرقة بالدمع الباقي
بدم يخضَّر كأوراق
كمجيء ربيع سباق
يتشوّف عبر الآفاق
ميلاد اليوم الموعود
بَدء التاريخ الموؤود..
ميلاد ينابيعي الثرة
ميلاد جزائريَ الحرة..

– ومع القضية الفلسطينية: وكان سليمان العيسى بحق شاعر القضية الفلسطينية، وهزّه من الأعماق نضال الشعب الباسل في فلسطين، كما جرحت نياط قلبه النكبة الأليمة، وصدمته هزيمة حزيران ١٩٦٧، فأخذ بصور المأساة بشعر حزين وعاطفة منكسرة:

ذات يوم سقط الخنجر في قلب الجسد
كانت الأرض جسد
أرضنا المذبوحة الثكلى، التي تمتد من حزن الزبد
في «أغادير» إلى حزن الزبد..
في خليج التبر والدر، وغصّات الشجر.
كله في شقهة الجرح وطن..

كله يمضغ مثلي موته عبر الزمن..
ذات يوم زرع الخنجر في قلب الجسد..

ولم يخفف من غلواء الشاعر الحزين إلا انتفاضة الجماهير في الأرض السليبة، بهرته المقاومة الباسلة وبالذات أطفال الحجارة الذين جعلوا الحجر هوية وانتماء وتاريخاً، فارتفع هتافه:

باسم الشعب.. اقسم بالبرق العربي النابت من صدر الشهداء..
نحن الدرب.. أقسم بالسيف المرفوع، بوهجكَ يا غضب الصحراء..
نحن الدرب.. أقسم بالوطن المسلوب.. ستبقى ثورتنا حمراء..

كان العيسى شعلة متوهجة وبركاناً ثائراً يهيب بالأحرار أن يشمّروا عن سواعدهم لاسترداد الحق من غاصبيه، كان يدرك أن الشعر هو كفاح البيان الذي يسير جنباً إلى جنب مع قضايا الوطن.. وكان يدرك أن لغتنا شجرة، وليست حجرة، لغة غنية بوسائل الاشتقاق تفتح صدرها لكل جديد، وهي خير معبّر عن حياتنا، وأمينة على تراثنا تبدع في تصويره وتجسيده محاطاً بسور عظمتها وشموخها.. مرّ العيسى بمدارس الشعر المتنوعة، وكان لها أثر في كتاباته، كما نظم الشعر بأشكال مختلفة، وتنوعت هذه الأشكال فشملت القصة الشعرية والملحمة الصغيرة، والمسرحية الشعرية، وظل يعتني بالعبارة المشرقة والصورة الجميلة والموسيقا الرقراقة..

كانت النقلة الحاسمة في مسيرة العيسى، إثر نكسة حزيران عام ١٩٦٧، فالتفت الشاعر إلى أطفال العروبة وفتيانها، فقدّم أعمالاً فنية وتربوية للأطفال الذين رأى فيهم المستقبل الذي لا بد وأن تجعله الأجيال القادمة أجمل وأفضل، فأنشد لهم أناشيد حافلة بالأمل والقيم السامية، وتغنى معهم بحب الأرض والوطن والأمة العربية والإنسانية – وراح منذ نهاية ستينيات القرن الماضي يواصل الكتابة، ملأت قصائده الكتب المدرسية، وخاصة في الفترة التي عمل فيها الشاعر موجهاً للغة العربية، وواحداً من واضعي منهج اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة، فتضمنت هذه الكتب عشرات النصوص الشعرية التي جعلته واحداً من أهم الأسماء التي كتبت للطفل، وأعطت له وقتها وجهدها بنبل وأريحية. وهكذا غنى الأطفال معه للوطن ولوحدة العرب والتغني بمآثرهم، والتطلع إلى المستقبل في تفاؤل وثقة:

وطني أشجار وظلال
وترابي قمح وغلال
أتفيأ ظلك يا وطني
وأحب ترابك يا وطني
أرض الأجداد.. وطن الأمجاد

حاول العيسى من البداية أن يقدم للأطفال شعراً حقيقياً بعيداً عن التفاهة والترهات، وهو لا يكتب لسن معينة، إذ لا عمر للطفولة في رأيه، لأن في أعماق كل منا طفلاً يجب أن يغني ويقفز ويمرح وينشد مع باقي الأطفال. وبلغ من حب الشاعر للأطفال أنه في مؤتمر الأدباء العرب بدمشق عام ١٩٧١، دخل إلى قاعة المؤتمر، ومعه كوكبة من الصغار قاموا بإنشاد شعره معه.. وأسهم «سليمان العيسى» في ترجمة روائع الأدب العالمي، وشاركته في ذلك رفيقة دربه الأديبة الراقية «ملكة أبيض» فقدّما معاً عيون القصص والمسرحيات.

انتُخب العيسى عضواً في مجمع اللغة العربية، وحاز على جوائز كثيرة بينها جائزة اللوتس للشعر من اتحاد كتّاب آسيا وأفريقيا، وحصل على جائزة الإبداع الشعري عام ٢٠٠٠، وتمّ تكريمه من قبل ديوان العرب ٢٠٠٥، وقلّده قائد الوطن وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة.

سئل الشاعر الكبير يوماً: ما الشيء الذي تعتز به، فأجاب: أعتز بشيء واحد فقط، وهو أحلامي التي كانت وراء كل كلمة قلتها في حياتي، ولا أرى لحياتي معنى من دون حلم. وكان يردد في حواراته: لا أستطيع أن أتصور إنسانية بغير شعر، ولكني مع هذا لست شاعراً، أنا خلية في جسد تبحث عن ملايين الخلايا من أخواتها، وتكافح بلا هوادة كي يتحرك الجسد، وتتفتح الحياة، وجسدي هو أمتي العربية العظيمة، التي مدت جسور الحضارة بيني وبين العالم، ومن هنا تبدأ قصة الشعر في حياتي، وهنا ستنتهي..

لقد كتب سليمان العيسى الشعر والنثر والمسرحيات للصغار والكبار، ويُعطي مجمل شعره انطباعاً بأنه شاعر سعادة بامتياز، شاعر دهشة وفرح، وفي شعره ألوان زاهية، وإيقاعه الشعري الغالب هو إيقاع الحيوية والتحفّز، وحين تقرأ شعره تتصور طيف صبي يُنشد في الدروب، ويهتف بعباراته الرشيقة والقوية، وحتى في قصائده الوجدانية، التي كتبها عن الوحدة العربية، وعن حرب تشرين نلمح هذا الطيف الإنشادي الطفولي والعالم الزاهي بألوانه، وهذه هوية هذا الشاعر الذي لم تغب أبداً.

كان العيسى صوتَ أمة، وصوت قضية، وكان شاعر أحلام وتطلّعات وأمنيات جماعية. إن الطبيعة تمنح الشاعر مكانة ميتافيزيقية، تجعل كل ما يصدر عنه يوحي بالشعر، حركته بين الناس، حضوره، تصرفاته، كلها تصدر عن شاعر، وهذه أشياء امتلكها سليمان العيسى، فهو شاعر تحرري، لم يتعصب للقديم، ولم يواجه المعاصرة والتجديد، هو قارئ للشعر العالمي ومترجم له، ومطلّع بعمق على المذاهب الأدبية والمدارس الشعرية، ولكنه مع ذلك وبسبب أصالته، بقي مخلصاً لصوته الحقيقي الذي منحته إياه لغته الأم، مدركاً صعوبة وروعة أن يكون الإنسان شاعراً يمنح الفرح لجميع الناس في كل طبقاتهم وأعمارهم، وهذا شيء استثنائي لا يناله إلا الشعراء الاستثنائيون..

هكذا لم تكن رحلة سليمان العيسى مترفة.. بل العكس تماماً عاش أكثر من ثلاثة أرباع عمره في شظف العيش، ومع أن حياته كانت رحلة قاسية، إلا أنه حوّل كل هذا الكمّ من المعاناة إلى إبداعات لن ننساها مدى الحياة.. لقد عمل وهو يزرع الأمل في نفوسنا أن يقوينا ويشحذ هممنا، وأن يعلمنا ألا نستسلم وألا ننهزم، وألا نذعن إلى ما يريدون.. وأن علينا في أمرّ الهزائم، وأقسى الانكسارات أن نواصل المسيرة الحرة، وربما الأهم أن ننهض بعد السقوط.

وبقي هتافه العظيم محفوراً في حنايا الصدور:

أمة العرب لن تموتي وإني
أتحداك باسمها يا فناء..

سليمان العيسى.. لك العهد أن تبقى في القلوب وأن تبقى راية الأمة العظيمة التي رفعتها في مقدمة الموكب عالية خفاقة، وإرادة الأمة التي نفحت فيها روح الإباء والعنفوان عصية على النكوص والانكسار.

رحيـــــل حلـــم عربي نازف

• يوسف حطيني

يروي سليمان العيسى في تقديمه لديوان الأطفال واقعةً تتحدث عن طفل كان يقفز على الرصيف، وهو يضرب أوراق الخريف المتناثرة برجله الصغيرة منشداً مقطعاً من قصيدة الخريف:

"ورقات تطفرُ في الدربِ
والغيمة شقراءُ الهدبِ
والريحُ أناشيدُ
والنهرُ تجاعيدُ
يا غيمةُ يا أمَّ المطرِ
الأرضُ اشتاقت فانهمري
والفصلُ خريفْ".

وقد عبّر العيسى عن سعادته الغامرة من مشهد ذلك الطفل الذي يلعب بأوراق الرصيف والقصيدة معاً، بينما تستعجله أمّه ليلحق بها، عاداً تلك السيمفونية أجمل هدية يتلقاها شاعر في حياته. ترى كيف استطاعت قصائد هذا الشاعر وأناشيده أن تتسرّب إلى أعماق هذا الطفل، وتصبح جزءاً من ألعابه؟ وكيف استطاعت تلك القصائد والأناشيد أن تتحول إلى أيقونات تحملها قلوب ملايين العرب الذين رددوا في أيام طفولتهم: "فلسطين داري ودرب انتصاري"، و"ماما ماما يا أنغاما" فتسرّبت إلى وجدانهم مع الشاعر نفسه، إذ صار اسم الشاعر ملتصقاً بخاتمة القصيدة كأنه جزء لا يتجزّأ منها. وإذا كان الشاعر يعتمد في انتشار شعره الموجه للأطفال على مجموعة من السمات التي تحقّق ما أسماه في مقدمة ديوان الأطفال "المعادلة الشعرية الجميلة"، كاستخدام اللفظة الرشيقة الموحية، والصورة الشعرية الجميلة، والفكرة النبيلة الخيّرة، والوزن الموسيقي الخفيف الرشيق، فإنّ ثمة سمة أخرى أسهمت في تحقيق تلك المعادلة، وهي المواءمة الفذّة بين قلب الشاعر وقلمه، تلك المواءمة التي ضمنت استمراراً حقّق إيقاعاً سائداً عبر مسيرته الشعرية، يؤكد على الوحدة العربية طريقاً لتحقيق طموحات الإنسان العربي في الحق والخير والجمال، بالإضافة إلى ثيمات برزت في شعره كالطهر والبراءة والوفاء والصداقة والتعاون والمحبة والعمل وجمال الطبيعة، ذلك أن الروح القومي الذي يحرّك نبضه كان يتجلّى في قصائده للأطفال والكبار على حدّ سواء، ويرافقه من قصيدة إلى قصيدة، ومن بلد إلى بلد.

لقد حمل سليمان العيسى جرح العروبة على مدى سنوات عمره المديد، منذ أن كان في قرية النعيرية في لواء الاسكندرون المغتصب، ثم مع انطلاقه لإكمال دراسته الثانوية في حماة واللاذقية ودمشق، فكتب قصائده الأولى التي تتحدث عن هموم الفلاحين وبؤسهم، وتحدى الاستعمار الفرنسي لسورية منذ بداياته حتى جلائه، وعانق جدران السجون، أكثر من مرة في حياته، ليسافر من ثم في مسيرته الطويلة إلى معظم الدول العربية وبعض الدول الأجنبية، وليقيم في حبيبته اليمن سنوات متعددة، وليصدر في تلك المسيرة نحو خمسين كتاباً، تمجّد المقاومة وتدعو إلى الوحدة العربية منها: «شاعر بين الجدران» و«ثائر من غفار» و«قصائد عربية» و«كلمات مقاتلة» و«ديوان الأطفال» و«نشيد الحجارة» وغيرها.

لقد غنى سليمان العيسى أناشيد الكفاح للصغار، وتردد صدى روحه القومي لدى الكبار، فرفض اليأس، وزرع الأمل في نفوس الجميع، فإذا بدأنا مع الصغار وجدنا الشاعر يصنع لهم أبجدية خاصة، تجعل حروف العرب للعرب، وأبجديتهم جزءًا من نشيد الوطن، مازجاً بين الفكر التربوي والقضية الوطنية والقومية:

آخر حرفٍ.. يُدعى الياءُ
قولي معنًا.. يا علياءُ
يحيا الوطنُ.. نحنُ الوطنُ

إنه الوطن العربي الكبير، الذي عاش الشاعر حلم ربيعه البكر، إبان فترة النهوض القومي، متحدّثاً للأطفال عن قطار عربي يتجول في بلاد الشام والخليج ومصر والمغرب العربي، من دون أن يجد حدوداً مصطنعة، كل ذلك في لغة موسيقية مدهشة تجعل الحلم أنشودة عذبة يرددها الصغار. يقول سليمان العيسى في قصيدة «قطاري»:

داري داري.. أرض العربِ
زار قطاري.. وطنَ العربِ
من تطوان إلى بغدادْ
سار قطاري يا أولادْ

من أجل ذلك الروح الصافي كان نشيده الحرّ، وكان انتماؤه، الذي لم يتزعزع بهذا الوطن الممتد من بغداد إلى تطوان، فكل حبة رمل في شرق الوطن العربي ومغربه تعادل الذهب، وهي تستحق من الأطفال العمل عندما يكبرون، من أجل تحقيق الوحدة العربية المنشودة:

ترابنا ذهبٌ وعزمنا لهبْ
نبني به البلادْ
نواصل الجهادْ
لوحدة العربْ.. لأمة العربْ

وفي قلب ذلك النشيد القومي الذي كتبه الشاعر على مدى سيرته النضالية كانت تقيم فلسطين، في أنفة الجرح، وفي نزفه المستمر الذي يدعو الأطفال إلى فهم المعادلة السياسية الصحيحة: فلسطين أرض محتلة، اغتصبها الصهاينة، وسيأتي يوم يعود الحق إلى نصابه، هذه المعادلة التي سيحفظها طلاب المدارس منذ الصف الأول الابتدائي:

وجوهٌ غريبة.. بأرضي السليبة
تبيع ثماري.. وتحتلّ داري
وأعرف دربي.. ويرجع شعبي
إلى بيت جدي.. إلى دفء مهدي
فلسطين داري.. ودرب انتصاري

و ها هو ذا طفل فلسطيني، ينتمي للعروبة ولفلسطين، هاتفاً في إحدى أناشيد الشاعر الراحل:

أنا من صَفدِ
سرقوا بلديَ
بلدي المحتلّ فلسطينُ
لم يُزهرْ فيه الليمونُ
لم تضحكْ فيه الأفياءُ
مُذْ هبّتْ ريحٌ سوداءُ

إلى فلسطين إذاً، فمنها تبدأ خارطة الوحدة العربية، ومن الانتماء إليها يتشكّل الانتماء الوطني والقومي الأصيل، ولا يرى الشاعر معبّداً لذلك الطريق، في أناشيده ومسرحياته الشعرية سوى الفداء، سوى دماء الشهداء، لذلك يردد مع ابنة الشهيد صدى صوتها فخراً واعتزازاً:

يا راية الأبطال غطي جبهة السماءْ
أبي أنا.. أبي الذي غطّاكِ بالدماءْ
حماك بالدماء
وفجّر الغناء
وقال للأرض اشربي نهارك الجديدْ
أنا ابنة الشهيدْ

إنه الوطن العربي بجميع أقطاره، بجميع أفراده الذين يشكلون الأسرة العربية الكبيرة، عمالاً وفلاحين.. حدادين ونجارين، فكل أولئك لهم حضور في أناشيده، لأنهم يعملون لأجل أطفالهم،

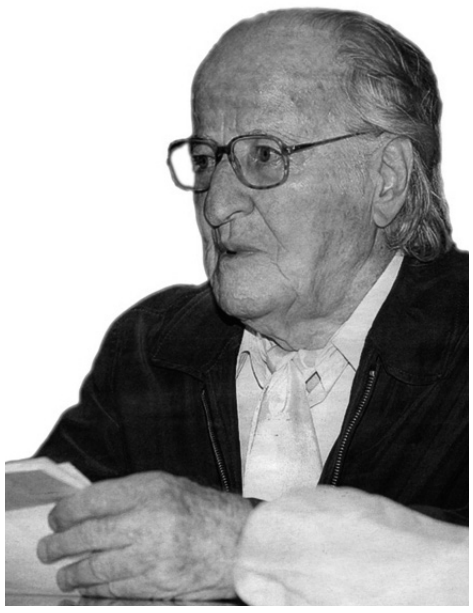

ولأجل وطنهم أيضاً. ففي «نشيد بابا» المشهور يظهر الوطن العربي الكبير هدفاً من أهداف البناء، يدركه الطفل بحسّه العفوي:

لي ولأجل الوطن الغالي
يعمل بابا دون ملال
بابا يتعب حتى نكبرَ
نبني نحن الوطن الأكبرْ

هذه الأسرة الصغيرة التي تشكّل الوطن الكبير، تقيم علاقات أسرية حميمة لا يغيب عنها الوطن أبداً، إذ يتسرّب إلى أحلام الطفل الصغيرة. في قصيدة «الرسام الصغير» يرسم الطفل العناصر الأقرب إلى قلبه، فماذا تكون النتيجة:

أرسم ماما.. أرسم بابا
بالألوانْ
أرسم علمي.. فوق القمم
أنا فنّانْ

لقد خاطب الشاعر الراحل أطفال الوطن العربي في سورية وفلسطين والجزائر واليمن والخليج، ورأى أنّ كل هؤلاء الأطفال من أسرة واحدة، يجمعها يقين الانتماء، وها هو ذا يكتب «همسة في دفتر بتول»، وهي فتاة من مصر، متحدثاً عن جمال طفولتها الذي يجيل على تاريخ النيل الخالد العريق:

ماذا عساني أقولُ.. يا حلوتي يا بتولُ
ماذا يقول نشيدي؟.. والنيلُ لحنُ الخلودِ
وأنتِ من ضفتيه.. ريحانةٌ في يديه..

كذلك فإن الشاعر يمضي نحو الجزائر، ليضع أنشودة على فم أحد أطفالها، أنشودة تتحدث عن البطولة والتضحية والشهداء، وتجسّد الاعتزاز بالانتماء للعروبة:

منذ دقّت بابنا أم اللغاتِ
منذ غنينا نشيد العاصفاتِ
صار لي أهلٌ، وعنوانٌ، ودارْ
صار لي ديوانُ شعرٍ عربي
أتهجى، اسمي به، واسم أبي

العيسى شاعر الكبار أيضاً

ومثلما كتب الشاعر للصغار عن حلمه العربي العظيم في قصائد تناسب الفرح الطفولي، وموسيقا الأرواح المتوثبة، كتب للكبار عن الحلم ذاته، يمزقه الألم حيناً، ويحدوه الأمل أحياناً، ومن الصغار إلى الكبار تغيّرت المفردات، وصارت التراكيب أكثر متانة، والموسيقا أكثر جزالة، والبحور أكثر طولاً، ولكن الحلم بقي على حاله، لذلك رأى الشاعر السوري عبد القادر الحصني أن تجربة الراحل كانت قصيدة واحدة: «حدّقْ مليّاً لترى أنّ سليمان العيسى ما كتب إلّا قصيدةً واحدة، هي قصيدة ذلك الحلم». فالوحدة العربية هي الحلم النبيل الذي عاش الشاعر على أمل تحققه، ومات وهو يرى احتمال تمزقه، إثر صقيع عربي يقتلع الأخضر واليابس من أشجار العروبة. إنها الوحدة التي عبّر عن شغفه بها في مناسبات متعددة: «أن تكون لي دولة عربية كبرى، قادرة على أن تحمي أطفالي، فلا يقتلعهم من يشاء، ساعة يشاء، من بيوتهم، من ظل شجرة التوت التي يلعبون تحتها، ويكتبون أولى قصائدهم تحتها، ويلقي بهم إلى أي مصير أسود يتلقفهم في الطريق».

من هنا، وبدافع من هذا الانتماء، ليس غريباً أن يخاطب عزّ الدين ميهوبي الذي دعاه مكرّماً إلى الجزائر عام ٢٠٠٤، لكونه صديقاً للثورة الجزائرية بقوله: «يا عز الدين.. أنا لست صديقًا للثورة الجزائريّة.. أنا ابنها».

وأنّى له ألا يكون كذلك، وهو الذي نفح الجزائر كثيراً من قصائده، قبل أن يزورها بعقود، ومنها قصيدته «ملحمة الجزائر»:

ألف عذر، يا ساحة المجد، يا أرضي التي لم أضمّها، يا جزائر
ألف عذر، إذا غمستُ جناحي من بعيدٍ بماحقات الزماجرْ
بيديك المصيرُ، فاقتلعي الليلَ، وصوغيه دافقَ النور، باهرْ
لك في الشرق جانحٌ عربيٌّ يتمطّى عن معجزات البشائر
ومن الجزائر إلى بغداد إلى عُمان يقيم أواصر الوحدة، ويغني لها، ولا يني يؤكد أن الشعوب تنال حريتها حين تقف في وجه الظلم، وأن الوحدة العربية تتطلب من الناس جميعاً أن يتمسكوا بعروبتهم، وأن يواجهوا كل ما من شأنه أن يقف في وجه هذه الوحدة، وها هو ذا الشاعر في قصيدة «مع المحقق» يواجه بثبات محققاً يريد منه تغيير هذا الحلم:

أنا للعروبة .. مذ رأيت النور .. كنتُ ولن أزالا
أنا للحياة .. لأمتي رَشَداً تراني .. أم ضلالا !
أفَيُجرم الوردُ النضير .. إذا اكتسى الوردُ الجمالا ؟!
أيُدان بالألَق الصباحُ إذا تموّج .. أو تَلالا ؟!

ها هي ذي أغرودة الوحدة التي نذر لها سليمان العيسى حياته، وغنى لها أعذب قصائده، إنها وحدة لن تزول، أبداً، وستبقى أملاً لكل العرب الذين ينشدون معه أغنياتها العذبة:

يا ليالي الضياع ، والقيد، زولي
نحن باقون وحدةً لن تزولا
وحدة.. في السماء والأرض منها
لهبٌ يغسل الأذى والدخيلا
وحدة.. تلهم الكواكبَ مسراها
وتمشي في القفر ظلاً ظليلا
وحدة.. تجمع المشرّد بالأهل،
عناقاً بعد الفراق طويلا

وإذا كان واحدٌ من أهم الشعراء العرب الحالمين بالوحدة العربية، قد غادرنا إلى دار الخلود، فإنّ ثمة حالمين آخرين، مازالوا يحاولون حماية هذا الحلم برموش العيون والأهداب، بانتظار زمنٍ يرتفع فيه النشيد العربي الخالد.

العين في ٢١ آب ٢٠١٣

مرثية لسليمان العيسى

• عماد جنيدي

أتراها قد ألوَت العنقاء
وتخلت عن إرثها الصحراء
وتوارى في الجاهلية شعرٌ
وتخلت عن صخرها الخنساء
وتوارى حسان والمتنبي
وتوارت عن بيدهن الظباء
لا وعينيك يا سليمان إنا
نحفظ العهد إننا الأوفياء
أنت أعطيت للعروبة شعراً
وهتافاً تتيه فيه السماء
حين قلت البيت العظيم المجلى
رددته الأنحاء والأرجاء:
«أمة العرب لن تموتي وإني
أتحداك باسمها يا فناء»
..أمة العرب لن تموتي وفيها
جيش بشار نخوةٌ وفداء
يا سليمان إرثك الإرث باقٍ
ورؤاه الأطفال والشعراء
أنت يابن اللواء كنت لواءً
وإلى سوريا يعود اللواء
سورية قلعة العروبة تبقى
وإلى العُرب وحدة الانتماء
وستبقى الشآم صرح أسودٍ
وسيلوى الملوك والأمراء
هم زناة التاريخ هم أجراءٌ
وكلابٌ محمومةٌ وجراء
ويضل الأعراب والشام تبقى
قلعة العرب والقطاء عطاء
«يا نعيرية» البيان فتيهي
من مياه العاصي يكون النقاء
فسليمان ابنك الفذّ باق
وخلودٌ ورفقةٌ ومضاء
«قدرٌ أن نظل كالشمس شعباً
عربياً.. ويعرب الانتماء»
وستبقى ذكراك في كل قلب
رددته الأصقاع والآلاء
حلم الغرب لن يموت بقلب
عربيٍّ فيه يقوم الإباء
نصر بشار قائمٌ وأكيدٌ
وله وحده يكون الولاء

كتاب عراقيون يدينون العدوان الأمريكي على سورية

تواجه سوريا العروبة وقلبها النابض ومنذ أكثر من عامين مخططا عدوانيا كبيرا من قبل أميركا والكيان الصهيوني وذيولهما من الأنظمة العربية الخانعة والرجعية من عبدة عجول الذهب ،تنفذه أدواتها من قوى الظلام والعصابات الإرهابية والمرتزقة،التي عاثت بالوطن تدميرا وتخريبا وقتلا على ارض هذا البلد العربي ، ولكن صمود الشعب العربي السوري وجيشه الباسل أمام هذه الهجمة الشرسة وفشل هذه الأدوات في تحقيق غاياتها ،جعل الذئب الأمريكي يكشّر عن انيابه ويلفق التهم المتوالية. حتى اعلنها اوباما الرئيس الامريكي ٤٤الاسود الذي اثبت ولاءه للصهيونية بأنه الأشد بياضا من الرؤساء البيض السابقين .

فجاءت التهديدات الأمريكية بتوجيه ضربة عدوانيه تحت غطاء فضفاض من ادعاءات واهية واتهامات كاذبة كان آخرها استخدام الأسلحة الكيماوية التي استخدمتها أميركا في حروبها السابقة . وهذا ليس بجديد عليها فقد احتلت العراق تحت ذريعة امتلاك أسلحة الدار الشامل ودمرت الدولة العراقية وبنيتها التحتية و مرتكزاتها وإشاعة القتل والفتن الطائفية فيه ..وكذلك تحت شعار الديمقراطية دمروا ليبيا وحولوها إلى ساحة للفوضى والصراعات، والذي يكشف عن وجه أميركا القبيح وخروجا عن كل الضوابط القانونية والأخلاقية،

أن الهجمة التي تتعرض لها سوريا وآخرها التهديدات الأمريكية يندرج ضمن مشروع تدميري كبير هو المشروع الأمريكي الصهيوني الذي لا يستهدف سوريا فحسب بل يستهدف المنطقة العربية برمتها، وسوريا آخر قلاع الصمود والمقاومة العربية في وجه هذا المشروع الذي يبغي الوصول إلى رسم خريطة جديدة للمنطقة العربية بغية تفتيتها وتفكيها وتحويلها إلى كانتونات طائفية واثنيه ومذهبية متناحرة فيما بينها وإلغاء هويتها وعروبتها، من اجل مصالحها ومصلحة الكيان الصهيوني في تثبيت وجوده وتحقيق أمنه وأمانه وهيمنته على المنطقة .

أن الأدباء والكتاب في العراق والموقعون أدناه يؤكدون :

١- الوقوف إلى جانب سوريا وطنا وشعبا في مواجهة أي عدوان عليها

٢- نطالب الشعب العربي السوري بالوحدة والتضامن وتراص الصفوف وطرد المرتزقة الذين تسللوا إلى سوريا.

٣- ان العدوان لا يستهدف فئة بعينها وإنما يستهدف سوريا شعبا وتاريخا وجغرافية وهو بداية أو منطلق لتقسم سوريا غالى دويلات طوائف كما هو مخطط للعراق.

٤- إدانة الأنظمة العربية التي تماهت مع قوى الظلام والتطرف الديني وأعمالها الإجرامية التي تستهدف الإنسان العربي السوري والبنى التحتية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والرموز الثقافية، والتي أبدت استعدادها لتوفير التكاليف المالية لهذا العدوان .

٥- دعم طموحات الشعب العربي السوري في الإصلاح والتطوير والبناء في ترصين ركائز الدولة الديمقراطية القائمة على الأسس الوطنية السليمة والحفاظ على سيادتها واستقلالها.

لذا يدعو ادباء العراق وكتابه أشقاءهم المبدعين العرب مفكرين وشعراء وكتابا الى استنفار الضمير الوطني وتعبئة الجماهير العربية للوقوف في مواجهة العدوان الصهيوني الامريكي والتصدي له بكل السبل والوسائل ومؤازرة الشعب السوري في مواجهة هذا العدوان على سوريا الشقيقة.

عاشت سوريا حرة أبية

والخزي والعار لأمريكا وإسرائيل وأعوانهم من الحكام العرب

الموقعون:

١- طلال الغوّار – كاتب وشاعر
٢- عبد المنعم حمندي – كاتب وشاعر
٣- جابر محمد جابر – صحفي وشاعر
٤- علي الأمارة – شاعر
٥- شلال عنوز – شاعر
٦- غزاي درع الطائي – شاعر
٧- مؤيد البصام – كاتب
٨- حسن عبيد عيسى – باحث وقاص
٩- علي عبيد..كاتب
١٠- د. بشرى البستاني باحثه وشاعره
١١- قاسم عبد ذيب – شاعر
١٢- قاسم محمد مجيد الساعدي –شاعر
١٣- حبيب السامر. شاعر
١٤- نبيل نعمة الجابري. شاعر
١٥- علوان السلمان –قاص
١٦- عصام كاظم جري – شاعر
١٧- مهند التكريتي – شاعر
١٨- ميثم العتابي – شاعر
١٩- نبيل نعمة الجابري – قاص
٢٠- فائز الحداد –شاعر
٢١- فاضل الربيعي – كاتب
٢٢- عبد الحسين صنكور- ناقد
٢٣- وليد عمر العلي- كاتب
٢٤- عبد الامير المجر- كاتب وقاص
٢٥- شكري الطيار- روائي
٢٦- تحسين عباس ..ناقد وشاعر
٢٧- د.علي حسون عليبي – شاعر
٢٨- رياض عبد الوهاب – شاعر
٢٩- حمودي الكناني –كاتب
٣٠- اسماعيل عزيز-شاعر
٣١- طارق الكناني- كاتب
٣٢- علي الحمداني –قاص
٣٣- عصام القدسي – شاعر
٣٤- د. فهمي صالح- شاعر
٣٥- علي لفته سعيد - شاعر وروائي
٣٦- شكر حاجم الصالحي – شاعر
٣٧- ياسين الحسيني - باحث وأديب
٣٨- الدكتور نوري الزكم- باحث وأكاديمي
٣٩- الدكتور محمد البكاء-باحث وأكاديمي
٤٠- زيد الحلي - كاتب
٤١- علي الزيدي كاتب- واعلامي
٤٢- مخلص امين- اعلامي
٤٣- مؤيد محسن اكاديمي وفنان تشكيلي
٤٤- عبد الرضا الحميد -قاص –
٤٥- مؤيد عبد القادر -كاتب وشاعر
٤٦- هادي الحسيني-شاعر
٤٧- د. حمودي جاسم ناقد وأكاديمي
٤٨- نزار شهيد الفدعم ناقد
٤٩- عبد اللطيف السعدون كاتب
٥٠- د. طارق الطائي –أكاديمي
٥١- الدكتور علي العبيدي شاعر وناقد
٥٢- الدكتور زيد ماهر الكنعاني
٥٣- كرم الاعرجي - شاعر وناقد
٥٤- زهير العامري -اعلامي
٥٥- الدكتور عدنان نعمة سلمان- اعلامي
٥٦- د. فرج ياسين. قاص
٥٧- وليد حمادي. أكاديمي وكاتب
٥٨- نادية العبيدي. إعلامية
٥٩- محمد الناصري. تشكيلي وناقد
٦٠- ضياء الوكيل. شاعر
٦١- عبد الهادي المظفر. شاعر

اتحاد كتاب المغرب يرفض توجيه ضربة عسكرية لسورية

يتابع اتحاد كتاب المغرب، بحرص شديد، التطورات المتسارعة التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط، ولا سيما التعبئة الحثيثة والمحمومة التي تشرف عليها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، بغية الإعداد لعدوان عسكري ضد سورية، بدعوى استعمال الجيش السوري النظامي للأسلحة الكيماوية ضد المدنيين.

وإذ يرفض اتحاد كتاب المغرب توجيه أية ضربة عسكرية لسورية، فإنه يؤكد أن التزامه بالمسار السياسي السلمي من قبل فرقاء الصراع الدائر هناك، ما يشكل الحل الواقعي الأمثل للمعضلة السورية الراهنة، في إطار يمكن الشعب السوري الشقيق من حقوقه المشروعة في تقرير مصيره، وفي اختيار النظام السياسي، وممارسة سيادته بشكل حر وديمقراطي.

وبالنظر إلى ما تشهده الشقيقة سورية، شعباً وأرضاً وحضارةً، من اتساع في التقتيل والتدمير، فإن اتحاد كتاب المغرب يطالب بإنجاز تحقيق أممي نزيه في كل الجرائم ضد الإنسانية، بما فيها استعمال السلاح الكيماوي في الصراع المسلح في سورية.

واعتبارا لالتزامنا الأخلاقي في إدانة كل عدوان على الشعوب، والاعتداء على سيادتها تحت ذرائع واهية، سبق أن انكشفت مراميها في الحرب على العراق وأفغانستان، وغيرهما، فإننا:

ندين كل تواطؤ من جانب الأنظمة العربية على هذه المؤامرات التي ترمي إلى خدمة أهداف القوى الاستعمارية؛

نهيب بكافة القوى الوطنية والمدنية في المغرب، من مبدعين ومثقفين وصحفيين وباقي مكونات الحقل الثقافي الوطني، بأن تتعبأ في صف واحد، لاستنكار هذا العدوان الغاشم والتصدي له.

المكتب التنفيذي
لاتحاد كتاب المغرب
٢٠١٣/٩/٧

الشـــــاعر الراحـل سـليمان العيـــ

•نظمية أكراد

غادرنا الشاعر الكبير سليمان العيسى في التاسع من شهر آب ٢٠١٣،

ووري جثمانه الثرى في مقبرة الشيخ رسلان بدمشق يوم الأحد ١٢آب ٢٠١٣ بعد اثنتين وتسعين عاماً قضاها في العطاء والإبداع والنضال. ولد الشاعر سليمان العيسى في قرية "النعيرية"، ولاية إنطاكية عام ١٩٢١، وتلقى تعليمه الأول هناك في "كُتَّاب والده الشيخ أحمد العَيْسِيْ حيث تعلَّم القرآنَ واللغةَ العربيةَ وأخذ يكتبُ الشعرَ، وهو في الثانية عشرة من عمره.. وكان شاعر المدرسة التي التحق بها في إنطاكية، ويلقي قصائده أمام التلاميذ والأساتذة. وغادر سليمان قريته ومدينته الحبيبة إلى قلبه، إنطاكية، وهو في الثامنة عشرة من عمره، ليخوض مع أبناء أمته العربية نضال وطنه الكبير، ضد الاستعمار الذي كان قد تقاسم النفوذ في البلاد العربية بين فرنسا وإنكلترا على الخصوص، وفرض وجوده ومشاريعه فيها، وقسَّم سورية الطبيعية "بلاد الشام" إلى أربع دول هي سورية وفلسطين ولبنان والأردن، ليغرس في فلسطين دولة صهيونية على حساب الشعب الفلسطيني، ما زال الشعب الفلسطيني والوطن العربي كله يعاني من وجودها واحتلالها وعدوانها وعنصريتها ومناصرة أمريكا أوربا لها، ما يعانيه من ويلات ومصائب.

تابع دراسته في دمشق وبغداد، ودرَّس في حلب ودمشق، تنقل بين مدن وعواصم عربية عدة، قبل أن يستقر نهائياً في دمشق. وكتب شعراً قومياً أثار به حماس الجماهير، وغرس في نفوس الطلاب والشباب العرب روح الثورة على الاستعمار والتخلف، والتعلق بالوحدة العربية، والنضال من أجل الاستقلال. ووهب نفسه وشعره، في شبابه وكهولته، لقضايا أمته.. ومن خلال التعليم، كان يوجه الشباب إلى العمل والنضال والثورة ضد الاستعمار والإقطاع والتخلف والجهل.

وفي عام ١٩٦٧ بعد نكسة حزيران، أصيب الشاعر كما أصيب كثيرون من أبناء الأمة العربية بصدمة وإحباط شديدين، نتيجة الهزيمة المرة.. وكان وقع ذلك شديداً على شاعرنا، ووصل به الأمر حد تغيير مسار إبداعه.. فتوجه بإنتاجه إلى الأطفال، لأنه رأى فيهم الأمل والمستقبل الذي ينبغي أن يوليه عنايته ويصب اهتمامه عليه، ولأنهم القوة الواعدة التي يمكن أن تغير حال الأمة العربية إلى الأفضل، فتحررها وتوحدها وتنهض بها، لأنهم المستقبل، و"لأنهم فرح الحياة ومجدها الحقيقي، ولأنهم الشباب الذي سيملأ الساحة غداً أو بعد غد، ولأنهم امتدادي وامتدادك في هذه الأرض، لأنهم النبات الذي تبحث عنه أرضنا العربية لتعود إليها دورتها الدموية التي تعطلت ألف عام، وعروقها التي جفت ألف عام" . فكان أن كتب معظم شعره بعد هذا التاريخ للأطفال، وجمعه في دواوين منها: ديوان الأطفال الذي يقع في ٧٥٠ صفحة، وأراجيح تغني للأطفال ويقع في ١٨٥ صفحة. كما كتب لهم قصص قصيرة نذكر منها: وائل يبحث عن وطنه الكبير، لبيك أيتها المرأة، الحدَث الحمراء، ابن الحمراء، الفرسان الثلاثة، وضاح وليلى في وطنِ الجدود، سرب البجع الأبيض، علي بابا والأربعون لصاً، علاء الدين والفانوس السحري.. كما ساهم مع زوجته الدكتورة ملك أبيض العيسى بتعريب قصص عدة من الفرنسية إلى العربية منها: قصص بهيجة، كل يوم حكاية، لكل حكاية لعبة، شجرة ندى ، أحلى الحكايات. ومجموعة من سلاسل القصص للأطفال. وكتب حواريات ومسرحيات للأطفال أيضاً.

وسوف أتوقف في هذه اللمحة السريعة التي أقدمها عن الشاعر سليمان العيسى، عند بعض شعره ونثره اللذين قدمهما للأطفال.

في ديوانه الكبير "ديوان الأطفال" ألوان من الإبداع الشعري والفني، ومجموعة من القيم القومية والوطنية والخلقية والتربوية والاجتماعية ضمَّنها قصائده، وفيه تعليم وتبصير بكثير من المعطيات المعرفية والتاريخية، ودعوة إلى تعزيز الانتماء للأمة العربية والافتخار بتاريخها ومنجزاتها الحضارية، وحث للأطفال على التعلُّم والشجاعة والبطولة والصدق والفرح واللعب والاستمتاع بالحياة، من دون أن ينسى التركيز على طلب التعلم، وطلب المعرفة والنجاح في الحياة. وقد خص اللغة العربية بقصائد تبين مكانتها، وتساهم في تعلمها، وتبين ما فيها من جمال.. فهو يرى "أن الكلمة العربية الفصيحة الجميلة هي التي تبني في رأينا شخصية الطفل القومية، وتشارك في تكوين فكره السليم.. فلنحرص على الكلمة الفصيحة الجميلة" ولا غرابة في أن يهتم الشاعر بالكلمة وسلامة اللغة لأنها أداة التفكير ووسيلة التعبير. إن سليمان العيسى، في مجمل قصائده الموجهة للأطفال، يركز على قيم الجمال من جهة، وعلى قيم البطولة والتعلق بالوحدة العربية والهوية، والحرية والنهضة الاجتماعية.

وسوف أتوقف عند باقات من شعره الموجه للطفل، لأقدم نماذج من أدائه وإبداعه، وهي قطفات من بساتينه المغناء، تغريه الألوان والروائح العطرة والخضرة والجمال المتجلي على ضفاف الماء، ويشده المرح والصخب بين أراجيح اللعب، وصفاء السماء، وبراءة الطفولة التي تنداح أمواجها في كل اتجاه.

وأكثر ما راج من قصائده، وما اهتم به من كتابة للطفل، الأناشيد التي درجت على ألسنة التلاميذ في المدارس، حيث كانت ضمن المناهج والكتب المدرسية ، في مراحل مختلفة من التعليم.

ولسليمان العيسى ورؤيته للنشيد بصورة خاصة، أو ما يسميه "المعادلة الشعرية الجميلة"، وله رأيه الذي يجمله في الآتي: "معادلة أبذل جهداً كبيراً كي أحققها في كل نشيد، بل في كل بيت أحياناً، على قدر ما أستطيع.

١. اللفظة الرشيقة الموحية، الخفيفة الظل، البعيدة الهدف، التي تلقي وراءها ظلالاً وألواناً، وتترك أثراً عميقاً في النفس. إنني أتجنب كل لفظة متعجرفة ثقيلة الظل، ضعيفة الإشعاع.

٢. الصورة الشعرية الجميلة التي تبقى مع الطفل طوال حياته، مرة ألتقطها من واقع الأطفال وحياتهم، ومرة استمدها من أحلامهم وأمانيهم البعيدة.

٣. الفكرة النبيلة الخيرة التي يحملها الصغير زاداً في طريقه، وكنزاً صغيراً يشع ويضيء.

٤. الوزن الموسيقي الخفيف الرشيق الذي لا يتجاوز ثلاث كلمات أو أربعة، في كل بيت من أبيات النشيد. والموسيقى رئة الشعر العربي التي يتنفس بها، وسر جماله، وبقائه، وأثره في الأجيال.

إنني أحرص على أن يتشابك في النشيد الذي أكتبه للصغار: الوضوح والغموض، الواقع والحلم، المحسوس والمعقول، الحقيقة والخيال: كل ذلك بكلمات مدروسة بعناية."

ومن أناشيده تلك، نتوقف عند نماذج متنوعة الأغراض: "نشيد ماما" الذي يقول فيه:

"ماما ماما يا أنغاما
أنت نشيدي عيدك عيدي
بسمة أمي سر وجودي"

ونحن نلاحظ سهولة الألفاظ، والموسيقى الجميلة الخفيفة، وصدق الطفولة في المعنى، وسلامة مبنى الجمل وسهولتها.

وفي نشيد آخر ذي قيمة وطنية نقرأ معاً "نشيد فلسطين":

"فلسطين داري ودرب انتصاري
تظل بلادي هوى في فؤادي"

وفي نشيد عمي منصور يقدم الشاعر للأطفال قيمة العمل والمهارة ويحثهم على الاعتزاز بالمهنة.

"عمي منصورٌ نجار
يضحك في يده المنشار
يعمل يعمل وهو يغني
في فمه دوماً أشعار"

وفي غرض تربوي آخر، أقرب إلى تقديم العدالة الاجتماعية والاشتراكية يقدم الشاعر للأطفال نشيد "للجميع":

"النور للجميع الحب للجميع
وأرضنا السمراء
والخير والعطاء
لا بد أن يكون للجميع
ترابنا ذهب وعزمنا لهب
نبني به البلاد
نواصل الجهاد
لوحدة العرب لأمة العرب"

وللمتعة والجمال واللعب والصداقة بين الطفل والعصافير، يقدم سليمان العيسى نشيداً خالصاً للجمال والمتعة بعنوان "عُصفور طلال"، يقول فيه:

"عصفور طلالْ شلال جمالْ
منقارٌ أحمرُ، ما أحلى
وجناحٌ أخضرُ ما أغلى!
في الجو يحلِّقُ عصفوري
ويعلمني درب النور"

ونحن نلاحظ تركيز الشاعر على قيم جمالية يغري بها الطفل ويعلمه.

وفي غرض آخر من أغراض النشيد عند سليمان العيسى، نقدم مقطوعة يحث فيها الشاعرُ التلميذَ القراءة والتعلم والكفاح وعلى التعلق بالكتاب ليقطف النجاح:

"على طريق معهدي
أمشي أنا، يمشي غدي
وفي يميني المشعل
على طريق معهدي"

←

كتاب وصحفيو ومثقفو فلسطين .. في خندق واحد مع سورية

هي ارض البطولات والصمود والمواجهة ... هي الأرض المباركة وهي قلب العروبة النابض من اجل حماية كل القيم والمبادئ الوطنية والقومية والتقدمية التي تربينا عليها ودفعنا ثمنا غاليا من اجل الحفاظ على ارض الآباء والأجداد ومهد الحضارة وراية العروبة .

هي سورية العربية ... قلعة الكرامة ... والمقاومة والعزة التي لن تنكسر .. العصية على الاعداء .. القوية بأمتها وتاريخها المشّرف في الدفاع عن الامة العربية منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا وهي حاملة راية العرب ومجد العرب وهي من تحملت أقسى الظروف واخطرها وظلت مرفوعة الرأس وفية قويه بارادة عظمية منذورة للعروبة وللوطن العربي ولفلسطين قضية العرب الاولى .

ان ما تتعرض له سورية العربية المقاومة فاق كل التوقعات وتجاوز كل الخطوط والمخططات لكنها ظلت سورية العصية على الاعداء و المقاومة الواثقة الخطو نحو مستقبل افضل وزمن ات افضل الى زمن تتجلى فيه كلمة أمتها وشعبها من موقع القوة والإرادة الوطنية والقومية لكي تكسر كل قوى الشر والعدوان من الغرب المتوحش المعادي الى الكيان الصهيوني الى اذنابهما وادواتهما الاجرامية في الوطن العربي .

انها سورية الصمود والمقاومة والكرامة قيادة شجاعة وجيشا لكل العرب وشعبا عظيما يجسد إرادة امتنا العربية المجيدة ... لنقف جميعا مع سورية جماهير وكتاباً وصحفيين ومثقفين في معركتها الكبرى من اجل الحرية والكرامة والعزة مقدمين كل التضحيات فالمعركة الان معركة مصير للمنطقة والعالم ...

المجد لسورية... المجد لصمودها العظيم وتضحياتها العظمية من اجل الحرية والارادة المستقلة وطنا لجميع السوريين وللعرب في وطننا العربي الكبير ...

لقد قررت سورية أنها تواجه الآن الإمبريالية المتوحشة بكل مركباتها وتفرعاتها العالمية والإقليمية والإرهابية وان تنتصر على كل الصعاب والتحديات والمخاطر ... وهي ستخرج من هذه الحرب اكثر قوة ومنعة بفضل الصمود العظيم والارادة الوطنية والقومية والتضحيات الكبيرة لتكون اكثر اشراقا واكثر حضورا ... انها سورية الصمود والمقاومة وقلب العروبة النابض ...التي لن تقبل ختاما لمعاركها المجيدة سوى النصر أو النصر .

الأمانة العامة للاتحاد العامة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

سليمان العيسى وأحلام الطفولة السعيدة

يحبني الكتاب لأنني أصحاب
فتحته للدرس فابتسم
علّمني أنشودة العَلَم"

ونكتفي بتقديم نماذج لهذا الصنف من الأغراض التي يخصص لها الشاعر أناشيد فيها الإيقاع ظاهر، والموسيقى مؤثرة، والكلمات موحية، والأهداف والقيم راسخة في نفس الطفل وفي غاية الوضوح، لنشير إلى أنواع أخرى من الأغراض التي انصرف إليها اهتمامه، ومنها:

- إعادة صوغ حكايات شعبية معروفة جداً، بأسلوب شعري، ليقدم من خلال ذلك، للصغار والكبار، رؤية مختلفة يتكئ فيها على التراث، وفي كل منها عظةٌ وقيمةٌ تعليميةٌ وتربويةٌ تفيدُ الأطفال، وتساهم في بناء شخصياتهم وتعميق حسهم الوطني والإنساني.. منها: "الكاتب الصغير":

وفي واحدة منها، هي قصة الذئب والحمل المعروفة، يعيد الشاعر صوغ القصة بهدف مختلف عن الدارج المألوف، وفي السرد الشائع يستهدف الذئبُ الحمل ليأكله حيث يقول له: إنك تعكر علي الماء، بينما يشرب الذئب من رأس النبع، ويشرب الحمل من ساقية في أسفله. ولكن تجديد الشاعر هنا يكون في جعل الحمل يدافع عن نفسه بشجاعة، ويدعو الحملان إلى نصرته فتفعل وهي تشحذ قرونها، فينهزم الذئب وينجو الحمل.

- ومنها في ديوان الأطفال "حكايات تغنى" مثل: "الغراب والثعلب، الثعلب والعنب، الراعي والذئب، الصياد والحجل، الريح والشمس، القائد والنملة، الثعلب واللقلق، المدعي، الإوزة التي وضعت بيضات ذهبية، عندما واجه المسافران الدب، البوم والبلابل، زيتونة وبسبس.. إلخ يأخذ الشاعر الحكاية الشعبية وينظمها شعراً بأسلوبه الجذاب، ثم يلخص الحكمة أو العظة منها في بيت من الشعر ليجعله على ألسنة الكبار والصغار. وهذه الحكايات معروفة وشائعة بين الشعوب، ونقدم منها:

١. الغراب والثعلب.. التي فيها، يرى الثعلب غراباً يأكل قطعة جبن على شجرة فيقرر الاحتيال للحصول عليها، فيمدحه "فغاب الطائر المسكين في الإطراء، واستمتع وصدق أنه الأحلى، وأن قوامه الأبدع" وهكذا يغرى الغراب بالغناء، وحينما يفعل تسقط قطعة الجبن ويلتقطها الثعلب. ويقول له حكمة:

" لا تأسف.. صديقي الحلو.. لو فكرت كنت الأكمل
الأظرف"

ويلخص الشاعر الحكمة أو يكثفها في قوله:

"لا يغرنّك معسول الثناءْ
حين يأتيك موشّى بالرياءْ"

٢. الثعلب والعنب: وهي القصة التي يحاول الثعلب فيها الحصول على العنب من شجرة عالية، وهو يتساءل: "من علّق العنقود في أرجوحة الفضاء؟" وعندما لا يستطيع ذلك يتركها وهو يقول هذا حصرم لا يؤكل.. مذكراً بالقول:

"قال هذا حامضٌ لما رأى ألا يناله".

لكنه عاد واعترف:

" لا بد أن أحيدْ عن الخداع الآنْ
ومرّةً أفيد ويصدق اللسانْ
العنب البعيد كالشهد حلواً كان"

ويلخص الشاعر الحكمة من القصة بقوله:

"تعاليك عمّا لا تُطيق حماقةٌ
فلا تتنكرْ في عباءة زاهد"

٣. الراعي والذئب: هي قصة الراعي الكذاب الذي كان يزعم أن الذئب هاجمه ليأكل الخراف وعندما يتجمع الناس ليقتلوا الذئب يتضح أن الراعي كان يمزح معهم ويقول.. " أيها السادة إني أمزح."

"ويعيدُ الراعي دعابتَه
وتُردّدُ الأصداء والهضْبُ..
الذئب.. الذئب!
وتهب قريته لنجدته،
وتعود لا خبرٌ ولا ذئبُ."

وفي اليوم الذي أتى الذئب فعلاً يستصرخ الراعي الناس فلا يأتي أحد، " قالوا: إنه يلهو، دعوه للقطيع" . وينال الذئب ما يريد، ويأكل الخراف.

ويلخص الشاعر الحكمة أو يكثفها بقوله:

"الذين امتهنوا في الحياة الكذبا
صدقهم. لو صدقوا. ذاهب أيضاً هَبَا"

٤. القائد والنملة:

قائد عسكري يحاصر قلعة بجيشه، أعياه صمودها وكاد ييأس من إمكانية فتحها.. جلس مهموماً مغموماً يفكر بالأمر.. إن فك الحصار عنها بإرادته هزيمة له.. شاهد وهو يفكر بالأمر نملة ترفع ثقلاً إلى أعلى، وكلّما رفعته هوى.. وكانت تعيد الكرة مرات ومرات إلى أن نجحت في رفع الجسم الثقيل إلى المكان الذي تريد. فرأى في صبرها ومثابرتها وقوتها على الاحتمال درساً، فأعاد المحاولة وشن هجوماً على القلعة ففتح أبوابها وكان النصر حليفه. وفي الخلاصة، أي الحكمة، يقول الشاعر سليمان العيسى:

"مهما تعبت.. واصل الكفاحْ بعد الدجى لا بد من صباحْ"

٥. زيتونة وبسبس: وهما قطتان وجدتا قطعة جبن، وأرادت إحداهما أن تستأثر بها فلم تقبل الأخرى

" الجبنةُ الحلوةُ ملكٌ لنا
لا يحبُّ العدلُ أن نَطْمَعَا"

واحتكمتا إلى قرد، فرحب بذلك وهو يقول:

" في خدمة الحقّ طويتُ الشبابَ
وها أنَا أصبَحتُ كهلاً ولم
أتعبْ، ولا أخطأتُ قطّ الصوابَ"

فشق القطعة إلى اثنتين وأخذ يقضم من كل منهما حتى تتوازن كفتا الميزان حتى أكلها كلها وهو يقول: " أخافُ أن أظلمْ." وهما تنظران إليه. ويلخص الشاعر الحكمة أو العظة بقوله:

" لا تلمْ ظلماً وقعتَ به
رُبَّ ظلم جَرَّهُ الطمعُ"

إن ما قدّمه سليمان العيسى للأطفال، كثير، ومتنوع، وغني، ولا نستطيع أن نُلم بكل جوانبه، فكل قصيدة في ديوان الطفولة تنطوي على ما يستحق الاهتمام، سواء أكان ذلك في بنيتها، أو فنيتها وموسيقاها، أو في القيم التي انطوت عليها.. وأختم هذه المداخلة بالتوقف عند قصيدة من ديوانه أراجيح تغني للأطفال، لأن فيها تركيز على قيمة الخيال عند الطفل، وكل أدب للطفل يتكئ على الخيال، أو يهتم به ويحلق في عوالمه.. فما لطفولة من دون خيال وتخييل يحمله الشعر والنثر ليزين به ذلك العالم الثري البريء البهي.؟!

هذه القصيدة تحمل عنوان " خيال الطفولة"، يقول فيها الشاعر:

"خيالُ الطفولَةْ غريبُ الخيالْ
هوى .. أينما شاءَ حَطَّ الرِّحالْ
خيالُ الطفولةْ.. دعوهُ يطوفْ
له العالمُ الرحبُ داني القطوفْ
له كلُّ حُلْم له كلُّ صعب
له المستحيلُ قريبُ المنالْ."

أتوجه بالتحية والتقدير لشاعرنا الراحل الكبير

سليمان العيسى الذي خدم أمته، وأغنى الأدب شعراً ونثراً، وأعطى أجمل أيام عمره للطفولة، للحلم والأمل والمستقبل العربي الواعد الكامن في الأطفال والسواعد الشابة، سائلاً الله تعالى أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جنانه، كما أتوجه بالعزاء لأسرته وأصدقائه وللأوساط الأدبية العربية لفقده، وأخص أهله وأقاربه في النعيرية منطقة انطاكية الذين يكنون له حبًا وشوقًا كبيرين ويعتزون به، وقد شاركناهم قبل ثلاث سنوات في قرية النعيرية الغافية على ضفة العاصي اليمنى، احتفاء كبيراً به ما زال أثره الطيب في أنفسهم وأنفسنا وبعد زيارتنا لبيته، بيت الأسرة هناك، واستماعنا من شقيقته نديمة للسيرة الشعرية التي ترويها عنه وتسجل خروجه مع انطاكيين كثر إلى سوريا بعد تسليم الفرنسيين انطاكية للجيش التركي، اقترح علي عقلة عرسان على رئيس البلدية وأهل الشاعر هناك أن يقام متحف للشاعر في جزء من بيته يتضمن حياته وأعماله، وتنشأ إلى جانبه مكتبة صغيرة للكتب باللغة العربية، وقد لاقى الاقتراح استحساناً وموافقة عليه.

بيان صادر عن الملتقى المنعقد في دمشق دعماً لسورية وقوى المقاومة

في ظل الظروف الاستثنائية التي تمر فيها سورية الحبيبة، شعباً ودولة ، على مدى أكثر من ثلاثين شهراً، ومع ازدياد وتيرة التهديدات التي تستهدف قوى المقاومة العربية والإسلامية، وفي القلب منها، سورية. هذه التهديدات التي تمهد لعدوان عسكري امبريالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وتوابعها في الإقليم : الكيان الصهيوني، وحكومات تركيا والأردن ومحميات الخليج النفطية، تحت دعاوي استعمال السلاح الكيميائي ضد السكان المدنيين في الغوطة الشرقية والجنوبية الغربية لمدينة دمشق.

إن المجازر المتنقلة التي تضرب الوطن والمواطن السوري في أكثر من منطقة، بهدف تفتيت النسيج المجتمعي السوري، تنفيذاً لمخطط تشرف على تنفيذه أجهزة مخابرات السعودية وتركيا والأردن، عبر تشكيلات محلية ومجموعات مرتزقة عابرة للحدود.

إن القوى والأحزاب والحركات والمنظمات الشعبية والشخصيات المشاركة في هذا الملتقى تؤكد على :

١- وقوفنا الكامل في خندق الدفاع عن سورية قلب العروبة النابض ومع محور المقاومة، من أجل إسقاط أهداف العدوان وتحقيق الانتصار.

٢- إدانتنا الشديدة لكل من مهد للتدخل العسكري والعدوان وساعد على توفير الأجواء السياسية والاقتصادية والنفسية التي تحاول ضرب الصمود الشعبي وثوابت الأمة العربية وإرادتها المعادية للإمبريالية والصهيونية والرجعية العربية..

٣- إن تجاوز الأزمة التي تعيشها سورية يتم من خلال الذهاب لطاولة الحوار السياسي من خلال وضع استراتيجية وطنية تخرج الوطن والمجتمع من أزماته، وتعيد تصليب النسيج المجتمعي في مواجهة الفتنة والتفتيت،وتفعيل الخطوات الجادة من أجل تطوير خطة التغيير الديمقراطي السلمي لسورية، وصولاً للدولة الديمقراطية ، التعددية، المتمسكة بالتزاماتها القومية وبنهج المقاومة ضد الاحتلال..

٤- إن خطة التفتيت المذهبي والطائفي والإثني التي تلجأ إليها قوى التخلف والتبعية في مراحل متقدمة من برنامجها التدميري، ستسقط على يد أبناء الشعب، الذي تربطه عبر آلاف السنين وحدة الانتماء للوطن والدولة والأمة.

٥- إن هدف الحملة الإمبريالية / الصهيونية/ الرجعية الرئيسي في محاولته تدمير سورية، السعي لتصفية قضية فلسطين بوصفها القضية المركزية للأمتين العربية والإسلامية .

٦- دعوة الجماهير العربية وقواها القومية والإسلامية وأحرار العالم للوقوف في وجه هذا المخطط العدواني والضغط على أنظمتها لمنعها من أن تتحول إلى قواعد ارتكاز وانطلاق للحملة العسكرية العدوانية.

× إن الملتقى يستنكر بشدة المواقف الصادرة عما يسمى " جامعة الدول العربية " التي شرعت وغطت العدوان المرتقب لضرب سورية ومحور المقاومة.

× الملتقى يوجه تحية تقدير واعتزاز بالفعاليات والنشاطات العربية والدول التي وقفت ضد العدوان.

الإنتصار لسورية في مواجهة العدوان
المجد للمقاومة في كل ساحات المواجهة
الهزيمة للغزاة وللحكومات المتواطئة معهم
حتماً ...ستنتصر سورية والمقاومة

٢٠١٣/٩/٥

أراجيح الشاعر سليمان العيسى تغني للأطفال

• عبد اللطيف الأرناؤوط

.تميّزت تجربة الشاعر سليمان العيسى ببعدها القومي والوطني، واقترابها من عالم الطفل ومراعاة خصائص الطفولة وأحلامها، ومسايرة ميوله واهتماماته في اللعب والمرح والغناء، والامتداد في عالم الخيال والأحلام (دعوا الطفل يغني بل غنوا معه أيها الكبار). مثلما تميّزت في تحريك مشاعر الطفل من خلال حرارة التعبير ورشاقته وجماله واختيار لغة شعرية تجمع بين خصائص الشعر الجمالية وحلاوة الإيقاع، والمزاوجة بين الحلم والواقع في محاولة منه للمواءمة بين عمليتي المطابقة والتمثيل التي يمرّ بها الطفل عادة أي رغبته في إخضاع الحياة لما يريد وتطلع المجتمع إلى إخضاعه للواقع ومواضعاته...

وقد ساعدت عوامل مختلفة على نجاح الشاعر سليمان العيسى في هذه المحاولة من أبرزها صلته بعالم الطفولة، وقد مرّ به في بيئة ريفية ببلدته «النعيرية» بأنطاكية، وما وسمها من ارتباط بالطبيعة على ضفاف «العاصي»، ثم حرمانه من الطفولة بعد انتزاعه من هذا العالم المحبب إليه قبل أن يبلغ ليواجه العالم بقسوته محروماً من حنان الأم والأب، ثم تجددت صلته بالطفولة بعد زواجه والاحتكاك بعالم الطفل أباً ثم جدّاً احتكاك مراقب ومتأمل لحياة الأطفال ولعبهم وأحلامهم، إضافة إلى أن اتجاهه للطفولة في شعره دفعه إلى متابعة تجارب شعر الأطفال في العالم ليحقق لمشروعه لوناً من الكمال الفني والتقني في الشكل والمحتوى، وبالمقابل فإن محاولته الجادّة استقطبت اهتمام الشعراء والكتّاب، فتابع خطاه جيل من الأدباء تفرّغوا للكتابة للطفل في مستوى النشيد والقصة والمسرحية والحوار والسير والتراجم.

وقد رصد الشاعر سليمان العيسى في مجموعته الشعرية الموسومة (أراجيح تغني للأطفال) القيم التربوية والإنسانية، وأنماط السلوك الإيجابي التي يجب ترسيخها في أدب الطفل، وحرص على أن يقدّمها للصغار بأسلوب غير مباشر. ومن خلال اللعب والحركة والنشاط والتمتع بالطبيعة والتواصل والانفتاح على الآخر والكائنات المحيطة به من حيوان وطير ونبات وإقامة جسور من الأخذ والعطاء في حياة الطفل بينه وبين ما يحيط به من مناظر الطبيعة... وتردّ المربية الدكتورة «ملكة أبيض» نجاح الشاعر سليمان العيسى في تجربته إلى جهده في توخّي الكمال الشعري حين يكتب للطفل، على ما في تجربته إلى جهده في توخّي الكمال الشعري حين يكتب للطفل، على ما في هذه المحاولة من عسر، ومراقبته الأطفال في حركتهم ولعبهم، ووعيه التربوي وهو المربي بالفكرة النبيلة الخيّرة التي يجب أن تغرس في الطفل. ثم اختيار الأوزان القصيرة ذات الإيقاع المحبب الملائم للغناء، وهم مولعون به. والشعر العربي منذ نشأته لم يتحرر من الغناء والحداء، ويستخدم التراث لأداء الشاعر كلمة «أنشد»... وقد فطن الشاعر «سليمان» إلى أهمية الغناء في حياة الطفل منذ بداية تجربته، فقدّم أناشيده ملحّنة مع السلالم الموسيقية لكل منها...

ويبرز الأديب «سيف محمد المرّي» اهتمام الشاعر بالطفولة واحتفاءه بعالمها في شعره بعد «أحمد شوقي» حتى ليُعدّ جهده خمسين عاماً في هذا المجال على عسر الكتابة للطفل أجمل تراث يقدمه لأبناء الأمة العربية، ويثري المكتبة العربية بباب هي أحوج ما تكون إليه.

ولن أكرر وأعيد ما كُتب حول تقنيات العمل الفني لدى الشاعر فقد تناولته الدراسات الأكاديمية والميدانية، وإنما أكتفي بالإشارة إلى بعض ما أضافه الشاعر في مجموعته الشعرية ومن أبرز مضامين المجموعة التربوية:

.ربط الطفل بالبيئة وعالمها وكائناتها في أنواعها المختلفة الجبلية والسهلية والبحرية ومنها الأناشيد التالية:

(الأزهار تغني لهاني) وقد جعلها تنطق وتغني وتفصح...

إنها خلقت للطفل ليتمتع بجمالها ورائحتها:

لكل طفل جميل
في القلب أرجوحتان
عطر البنفسج منه
وبسمة الأقحوان
لولا الصغار نسينا
سحر الرياض الحسان

•

ويقدم لهم معلومات علمية عن نمو النبات ومراحل حياته، كما في نشيده «الحديقة الخاصة»:

مرحباً بالبراعم — من طريّ وناعم
حيث مدت رؤوسها — رفّ عطر النياسم

•••

برعمي برعمي هنا — واملئي لي حديقتي
أنا والشمس والندى — للفروع الرقيقة

•••

ويحثهم على زراعة النبات والعناية به، لنفع الإنسان والإسهام في العطاء، كما في نشيد «ازرعْ ليأكلوا»:

ازرع ليأكلوا
وانسج ليلبسوا
يبقى لنا ما نفعل

وينهاهم عن الإساءة للطبيعة، وتجنب قطف الأزهار في نشيد «الأولاد في الغابة»:

أن نحرم البرّية
زينتها البهية؟
وينتهي الجمال للذبول
تُرى، أيرضى الغاب والحقول؟

وتحتل صداقة الطفل للحيوان والطير حيّزاً كبيراً من الأناشيد، حيث يتناول فيها تعرّف الروح الجماعية لدى الحيوان «نشيد القطيع» وتقديم بعض حيوانات البيئة بصفاتها وتصرفاتها كما في نشيد «الضفدع الصغير برّاق» و«الحمل الصغير». يقول في وصف الضفدع:

الشمس لي والنهر لي
وزينة الحمى أنا
بلحني المفضّل
أرطبُ الدنيا هنا
على الضفاف انطلق
حلو غنائي: نقْ... نقْ

•

وقد يؤنسن الحيوان، فيجعل الحمل يكتب رسالة اعتذار لعفراء الطفلة عن التهامه أوراق نبتتها:

سهواً قضمت الشجرة
هل تقبلين المعذرة؟
نحن على الأوراق والأعشاب
نعيش يا عفراء..!

ويُبرز صورة طفولة الفيلة، ولو بدا صغارها أضخم حجماً، فيعلمهم الفروق الخلقية بين الكائنات، ويلفت نظرهم إلى ميل الفيل الصغير للنظافة والاغتسال بالماء. فيقول بلسان الفيل الصغير:

بالماء البارد رُشّينا
رُشينا .. يا أختاه
شيء عذب يمشي فينا
رُشينا .. يا أختاهُ

ويعرّفهم بحيوان «الإيل» وطوافه في الحقول، ويحثّهم على رعاية الحيوان والطير في نشيدي «لمياء والحمل، والطائر الجريح» إذ يجعل الطائر الجريح يكتب رسالة شكر «لدارم» لأنه اعتنى به ورعاه حين جُرح، ويرسم لهم سلوك السلحفاة البطيئة والحكيمة والخلد ذلك الحفّار البارع في التراب.

أغطس تحت الأرض وأمشي
كالسر المدفون
أبحث عن رزقي وطعامي

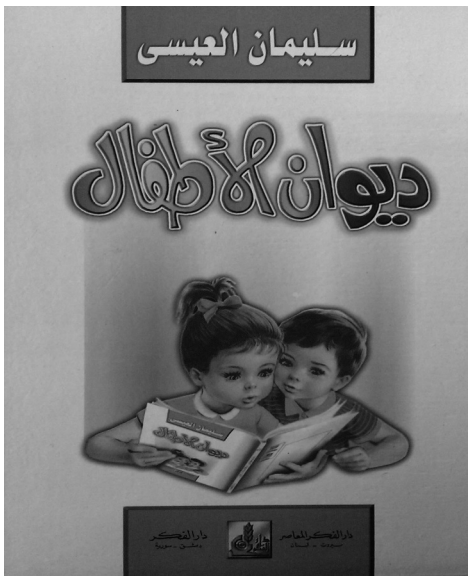

حيث الرزق يكون
الحفّار البارع لقبي
ماذا تنتظرون

•

ويعنى كثيراً بالألوان وهي ما تثير اهتمام الطفل من خلال وصفه للحرذون:

عينان.. لؤلؤتان لامعتان
ذيل... كسحبة نغمه
صدحت بقوس كمان
جلد.. كنمنمة السحاب التائه
والبرتقال اختارني لعطائه
يوماً... بأحلى ما لديه حباني
في قاع جسمي بقعة من لونه
يا حسنها.. خلابة اللمعان

•

ويؤكد الشاعر في أناشيده باستمرار على السمات المميزة للكائن. وربما منحه اسماً محبباً، وصفة تلصق به، ففراخ البط بحّارة الأزل، وعوامون ورثوا ركوب الماء عن آبائهم، فيربط الفروع بالأصول:

آباؤنا ياماء عوّامون — وإننا إليك قادمون
منهم من — الآباء ستعرف الأبناء
مراكباً تطفو على المياه — في نشوة تستوطن المياه

ويصحح للصغار ما شاع في وسطهم عن قيم يتعاملون مع الكائنات، فيدافع عن الحمار ومايتهم به من غباء، وعن القرد وما ينسب إليه من مكر ودهاء، ويشجع الصغار على إطعام الحيوان والطير:

قوافل بين شحرور ودوري
صنعتُ لهن مائدة الطيور
تعالي يا عصافيري تعالي
طعامك جاهز منذ البكور

•

وتحتلّ مظاهر الطبيعة مكاناً من اهتمام الشاعر، فيقدمها للأطفال لجمالها أو نفعها ومنها الحجر والندى... وفي الأناشيد عدد من القيم التربوية والإنسانية والترويحية التي يهدف إليها «سليمان العيسى» إلى غرسها، منها الانفتاح على الآخر، وتحرير الطفل من الأثرة والعزلة والأنانية، ومن الخوف والانطواء، وتدريبه على مواقف الشجاعة والمشاركة الاجتماعية، وممارسة المرح وبهجة الحياة، والتعلم من الطبيعة على طريقة «روسو» فهي خير معلم في نظره، وحفّزه إلى الحركة واللعب والسياحة والرياضة والتنزه، وممارسة هوايات تتصل بعالمه كالرسم والغناء وحب المطالعة وتعرّف الأشياء، واجتناب الغرور والعدوانية، وتسخير ذكائه لحلّ المشكلات واكتشاف المجهول، وتقدير الحب والصداقة والجمال والتعاون والإيثار، وبعض هذه القيم ترد من خلال الأناشيد التي تتناول مظاهر البيئة وما فيها من عوامل، ويفرد لها الشاعر أناشيد مستقلة، وهي أكثر جوانب المجموعة تواتراً، من ذلك أناشيده: المرآة، يعجبني الجريء، الحب هو الأقوى، أحلام الصغار، نبيلة الصغيرة، تاج الذهب، الغرور، مدّ عينيك، البلبل يفتتح الغناء.

وكثيراً ما يقدم الشاعر هذه الأناشيد في إطار من الخيال الذي يعشقه الطفل، من ذلك نشيد «قارب أمية الجديد»:

أطوف حول العالم
أدور حول العالم
في قاربي الجميل
من دجلة للنيل
إلى بحار العالم
يا زورقي الذي شرد
فوق المياه الصافية
لا تبتعد ... لا تبتعد
أخاف أن تنسانيه

وقد يجمع في النشيد الواحد بين الواقع والخيال، كما في نشيد «لعبة الظلال» الذي يشجع الأطفال على الرسم نقلاً عن الواقع (رسم الطفل صورته وصورة أبيه) والظل الذي يرافق الرسم في المستويين الحسّي (خيال الإنسان) والمعنوي أي صورته المتخيلة لدى الآخرين:

في لعبة الظلال — أقضي بلا ملال
وقتاً طويلاً غارقاً — في لعبة الظلال
رسمت ظلي صورة — جميلة أنيقة
أعطيتها لوني أنا — أعطيتها الحقيقة
يالعبة الظلال — تموج بالصور
يا قصتي أنا — يا قصة البشر

ويركز الشاعر سليمان العيسى كثيراً في أناشيده على الأحلام والأماني، بحكم أن مشروعه في الكتابة للطفل يقوم على أمنية قومية يأمل تحققها في مستقبل الأيام بسعي هؤلاء حين ينشدون، ويبرز أهمية الخيال وتخييل الأطفال:

خيال الطفولة — دعوه يطوف
له العالم الرحب — داني القطوف
له كل حلم — له كل صعب
له المستحيل — قريب المنال

ويجعل الشاعر سليمان العيسى الحلم والتخيل قريناً للعب كما في أناشيده «طيارة الورق» وما توحي حركتها للطفل من انطلاق إلى عوالم مجهولة، و«كوخ ليلى» وما فيه من عوالم سحرية.

و«الثوب البديع» وما تبعث ألوانه من ظلال، و«الفقاعة الجميلة» وما في ألوانها من أطياف... وقد يقرن بين الخيال والسحر لكونهما وجهان للعالم المتخيل غير المرئي حيث الجنيات والسحرة كائنات تتوالى ترويض المستحيل وغير الممكن، ورواد الفضاء وما تثيره رحلتهم من اكتشاف المجهول، والقصص السحرية المستمدة من التراث العالمي مثل قصة «سندريلا» وبعض قصص «السندباد البحري» في ألف ليلة وليلة، وبعض أساطير الخيال مثل «الكرسي الطائر»، وبساط الريح، وما تبوح به كائنات الطبيعة. وهي تتحدث عن عوالمها مثل«الريح والشمس» و«الأرجوحة» يقول في وصف طائرة الورق:

لغتي أني أطير
في السماوات أطير
كل شيء ساحر المنظر تحتي
إنني أهوى الصغار
حين يأتيني الصغار
ويطيرون معي في الحلم
آه.. ما أجمل دنيا الحلم
وإذا كنت وحيدة
أقرأ الغيمَ سعيدة
يا صغاري فوق إحدى الهضبات
فدعوني.. لست ملكاً للهواة
أتركوني حرة في الأفق

إنني طائرة من ورق
ويدخل في عملية التخييل حثّ الطفل على الابتكار، وتحقيق أمنياته باللعب الذي من خلاله يقلد الكبار ويحاكي تطلعاتهم في العمل والإنجاز، ففي نشيد «بيت بقلب الشجرة» تبني الطفلة بقلب شجرة كبيرة بيتاً لها، وتدعو رفيقاتها إلى حفلة شاي فيه لتدشين هذا الإنجاز وتغني:

صار لي بيت بقلب الشجرة
من رأى بيتي بقلب الشجرة؟
صرت كالدوري فيه أختبي
الغصون الخضر صارت ملعبي
آه يا بيتي، الذي لا يوصف
قال بابا: هو حلم مترف
قالت الماما: لقد صارت لنا
عش عصفور وعصفور هنا

وإذا قارنا بين بدايات شعر الأطفال لدى الشاعر سليمان العيسى وخواتمه في هذه المجموعة، يمكن أن نلاحظ تطويراً في تجربته.. فقد ظل حريصاً على أسس التقنيات في العمل الشعري... ومنها: أنسنة الكائنات غير الإنسانية، والتحدث بلسان الطفل أو الشاعر بلا وسيط، واعتماد الحوار أحياناً، ويتجلى نضج تجربة الشاعر في محاولة الاقتراب أكثر من عالم الطفل لاعتماد البنى اللغوية البسيطة والأوزان القصيرة والبحور الشعرية المجردة وبخاصة البسيط والرمل والرجز، ومن حيث المضامين الالتفات إلى المخترعات العصرية وآفاقها كرحلات روّاد الفضاء والحاسوب:

العالم الرحيب
كم فيه من أسرار
مجهولة الأغوار
العالم الرحيب
نريد أن نراه
ما أجمل الحياة
إذا انطلقنا في المدى الرحيب
إذا كشفنا الغامض العجيب

ونلاحظ أن هذه الأناشيد تلبي حاجة الأطفال في عمر الخامسة حتى السابعة، وهي المرحلة التي لا يكون فيها الطفل يعرف القراءة بعد، وكانت اللغة العربية الفصيحة تفتقر إلى مثل هذه الأناشيد، فيستعيض عنها المعلمون في الحضانة والصفوف الأولى بأناشيد عامية تكاد تخلو من القيم والتوجيه، أو تفتقر إلى الأسلوب التربوي السليم في الإرشاد، وتدور في تلك الزواجر والأوامر...

وأخيراً... الوطن العربي واللغة العربية مدينة للشاعر سليمان العيسى ودوره في رعاية الطفولة والإخلاص لها، فهي أمل المستقبل وعدّة الوطن للتقدم والحرية واسترداد حقوق الأمة السليبة...

– أراجيح تغني للأطفال.. للشاعر: سليمان العيسى... منشورات: كتاب دبي الثقافي رقم ٢٦، يوليو، عام ٢٠٠٩م، في (١٨٩) صفحة، من القطع المتوسط..

حادي قافلة شهداء الأمة العربية

• أحمد سعيد هواش

لقد غاب عنا الشاعر الكبير سليمان العيسى في يوم الجمعة التاسع من آب لعام ٢٠١٣م

وسليمان العيسى اسم لا ينسى، وهل تنسى الأمة العربية أبناءها البررة؟! كان صوته يصلنا على صفحات الصحف وعبر الأثير، بعدما نعمت البلاد بشمس الحرية منذ فجر الجلاء يغني أفراح الأمة العربية. ومنذ تلك الحقبة، ونحن نتتبع نضال الشاعر سليمان العيسى، حيث لم تفته أية حادثة وطنية أو قومية، إلا وكان له فيها الصوت العال مثل استشهاد البطلة رجاء أبي عماش التي صرعها رصاص الإنكليز، وهي تقود مظاهرة في أحد شوارع مدينة عمان ضد حلف بغداد الاستعماري في النصف الأول من الخمسينيات من القرن الماضي، واستشهاد الشهيد عدنان المالكي، على مدرج الملعب البلدي في دمشق في الثاني والعشرين من نيسان لعام ١٩٥٥م.

جرح عدنان ما يزال على الشام
انطلاق التاريخ من عدنان

وفي الفاتح من «نوفمبر» تشرين الثاني لعام ١٩٥٤م يهب الشعب الجزائري لانطلاق ثورة عارمة، ويسقط الشهداء فيها بالمئات في كل يوم، ويهز هذا الحدث العظيم، الشاعر سليمان العيسى فيتغنى فيه، ويتمنى أن يكون مع الثوار في الأوراس، وفي كل مكان تطلق منه رصاصة ضد المستعمر الفرنسي الغاشم فيقول من قصيدة «من ملحمة الجزائر»:

روعة الجرح فوق ما يحمل
اللفظ، ويقوى عليه إعصار شاعر
أأغني هديرها، والسماوات
صلاة لجرحها، ومجامر
ما عساني أقول؟ والشاعر
الرشاش، والمدفع الخطيب الهادر
فوق شعري، وفوق معجزة
الألحان هذا الذي تخط الجزائر

كما كان صوت الشاعر سليمان العيسى قوياً مزمجراً في معركة قناة السويس وجهاد بور سعيد حين تآمرت قوى العدوان الثلاثي ممثلة في فرنسا وإنجلترا وإسرائيل في ٢٩ تشرين الأول لعام ١٩٥٦م.

فشنّت هجومها الغادر على منطقة القناة وسيناء لتحطيم المد الثوري في القطر العربي المصري الشقيق، وقد أظهرت معركة القناة الوحدة العربية في أروع صورها، حيث قطع البترول عن الغرب، فكانت ضربة سديدة، وتضحية عزيزة من أبناء الشعب العربي عامة، والشعب العربي السوري خاصة، أثبتت أن المعركة معركة العرب جميعاً، وليست معركة مصر وحدها.. وقد مجد هذه الوقفة الشجاعة للأمة العربية الشاعر سليمان العيسى فقال:

أبصرت دربي لا وقوف
ولا التواء عن المسير
لي أن أحس شموخ رأسي
ناسجاً بيدي مصيري

وكان لهذه الوقفة الشجاعة من أبناء مصر والرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وأبناء الأمة العربية جمعاء، أن تعاظم المد الثوري العربي ضد الاستعمار وأعوانه مما هيّأ الأجواء للتقارب بين الأقطار العربية إيذاناً ببزوغ فجر الوحدة العربية المنشودة، يقول الشاعر سليمان العيسى:

أنا في الشام، أستقي من جراح
الضاد لحناً مضرج الأوتار
وثبتي وثبة العروبة لا روضي
يطيق الدجى ولا أطياري
لي على النيل مارد عربي

وحياة تمور كالإعصار
لي على القدس، صامدون،
ولو جن جنون المستعمر الغدار
لي جمال، وبور سعيد، ولي
شعبي ودقي يا عاصفات جداري

ويتوج نضال أبناء الأمة العربية بوحدة رائدة بين القطرين العربيين «مصر وسوريا» في الثاني والعشرين من شباط لعام ١٩٥٨م، ويتغنى الشاعر الثائر سليمان العيسى في عيد الوحدة الوليدة في المهرجان الكبير الذي أقامه نادي الضباط بحلب احتفالاً بمولد «الجمهورية العربية المتحدة» فيقول:

يا ليالي الضياع، والقيد زولي
نحن باقون وحدة لن تزولا
وحدة.. تلهم الكواكب مسراها
وتمشي في القفر ظلاً ظليلا
وحدة، في السماء، والأرض منها
لهب يغسل الأذى والدخيلا
وحدة.. تفجر الينابيع في الكون
فراتاً يسقي العطاش ونيلا

وللقطر العربي العراقي وعاصمته «بغداد» مكانة خاصة عند شاعرنا سليمان العيسى، حيث شرب من ماء نهري دجلة والفرات أثناء دراسته في المعهد العالي للمعلمين مع الشاعر بدر شاكر السياب والشاعر عبد الوهاب البياتي والشاعرة نازك الملائكة في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي، لذا ما إن قامت ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م لتهدم أركان الملكية والرجعية حتى يغني لهذه الثورة ويعود له حنينه واشتياقه لبغداد، فيقول من قصيدة «بغداد تمزق القيد» يهديها إلى ١٤ تموز ١٩٥٨م حيث يقول:

شدّي على قُبَل العناق
شدّي، فلن يرَوِيَ اشتياقي
شدّي على شفتي يا
بغداد، زلزلني التلاقي
غيبي معي في قبلة
نَصهرُ بها أبَدَ الفراق

وكان الأمل من هذه الثورة أن ترفد دولة الوحدة بقطر ثالث، ولكنها انحرفت وناصبت العداء للأمة العربية. وكذلك يا للأسف. لم يدم الفرح طويلاً، إذ عصفت بالوحدة الوليدة رياح عاتية في يوم أسود من شهر أيلول لعام ١٩٦١م، وارتسمت علامات اليأس على بعض أفواه الشعراء الذين طالما غنوا لهذا الحدث العظيم، فكان صدمة قوية ومؤلمة لهم، ولكنهم أصرّوا على هذا المطلب الحيوي لأمتهم العربية، فهاهو الشاعر سليمان العيسى يطلب وحدة.. طيف وحدة.. لتكون طريق الخلاص من المرارة والألم الذي عبر عنه عندما قال:

خلاصي سألت اليأس عنه فردّني
إلى أمل يقتات شوك جهنم
أطلي علينا وحدة طيف وحدة
بريقاً، سراباً كيفما شئت فأقدمي

ويستمر سيل النكسات على أمتنا العربية تباعاً، وكان أشدّها إيلاماً العدوان الغادر على دولتي المواجهة مصر وسورية في الخامس من شهر حزيران لعام ١٩٦٧م، حيث اقتطع منهما أراضي شاسعة واسعة وشرّد الآلاف من المواطنين العرب.

وكان رأي الشاعر سليمان العيسى في قمة الصواب حيث دعا للمقاومة.. والعمل الفدائي ضد العدو المحتل، مما مهد لحرب تشرين التحريرية ١٩٧٣م، حيث كان صوت الشاعر العيسى مع المقاتلين في عبورهم للخندق العميق في الجولان، وللقناة في سيناء، يسمعهم شعره على صفحات صحيفة «البعث» الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨م فيقول من قصيدة له بعنوان «ياسمين دمشق»:

تسقي من الأزل السحيق وتسكر
ماذا أقول.. وأي خمرك أعصر
يا ياسمين دمشق.. مد بيادقي
مطراً بملحمة الرسالة يَتهدر
يا ياسمين دمشق.. عطرك أبيض
وتغطرست أفعى فعطرك أحمر

لقد أحييت حرب تشرين نفوس أبناء الأمة العربية بعدما أصابها اليباس، ووجد الشاعر سليمان العيسى في بطولات أبطال تشرين واحة أمل خضراء، لذا راح يناجي «تشرين» بفرح يأتي على كل شرور الماضي فيقول:

تشرين.. أمطارك الخضر التي كتبت
أعمارنا.. لم يكن بالأمس لي عمر
في ساعتين.. خلقنا كلنا بشراً
قبل الشهادة لا وجه ولا صور

وفي عيد الشهداء في السادس من أيار لعام ١٩٧٤م، يشارك الشاعر سليمان العيسى في إحياء ذكرى هذا العيد المقام على مدرج جامعة دمشق ودم شهداء حرب تشرين لم يجف . بعد . وكانت القاعة تغص بالحضور الذين يجلل السواد قاماتهم حزناً وافتخاراً باستشهاد أحبائهم، إنه لموقف يدعو للخشوع كما أسر الشاعر لصاحب المقال، وأنشد قصيدته المعبّرة، «الخالدون» فقال:

ناداهم البرقُ فاجتازوه وانهمروا
عند الشهيد تلاقى الله والبشرُ
ناداهم الموت فاختاروه أغنية
خضراء ما مسها عود ولا وتر

وتنشحذ شاعرية شاعر العروبة مستلهماً من المناسبة الكبيرة والحضور الذين وعوا المعنى الكبير للشهادة، فينطلق صوت الشاعر بخشوع مخترقاً الصمت الرهيب فتتجاوب جنبات القاعة بالفخر والاعتزاز بالشهادة والشهداء فقال:

الخالدون.. على أهدابنا بنوا
عرائش الزهو.. في أحداقنا سهروا
تنام أطفالنا تصحو على قصص
وينسجون الرؤى منها إذا كبروا
صار الصغير يمد اليوم قامته
أبوه بالقيمة الحمراء يعتمر
تحية لشهداء الأمة العربية الذين رفعوا راية أمتهم العربية خفاقة عالية ..
وتحية ورحمة من الله للشاعر سليمان العيسى
حادي قافلة الشهداء

الأسبوع الأدبي

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفراد1000ل.س -وزارات ومؤسسات1200ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو 120 $ - للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشبكة.
- منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- لا تتجاوز المادة المرسلة /700/ سبعمئة كلمة.
- يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
- لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

في أنطاكية و مرابع سليمان العيسى

• د. حسين جمعة

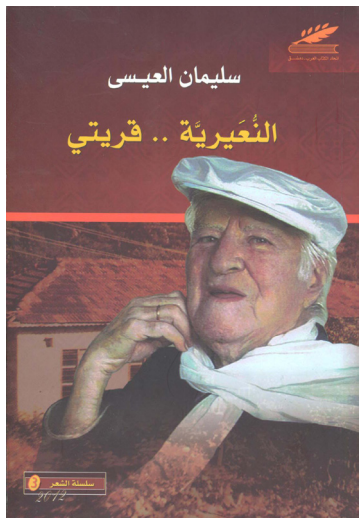

منزل الشاعر الكبير بعد أن غادره

كانت زيارتي الأولى لأنطاكية ذات مذاق خاص؛ ومشاعر تتأرجح على الرغبة والتوتر؛ إذ لم تهدأ نفسي؛ ولم تَغْفُ عيني لحظةً لأنها كانت تتطلع إلى زيارة بيت الشاعر... وما إن شق النور عتمة الليل؛ وطرد غبش النفس حتى عزفت السيارة نشيدها مبتهجة في انطلاقتها نحو الغرب تتراقص على الطريق الملتوي بين الأشجار العملاقة المكتظة؛ وهي تحتضن شجيرات كثيرة من التفاح والتين و... وماهي إلا دقائق معدودة حتى وجدتني مملوءاً بنشوة غامرة حين أشار الصديق زهير جبور والسيد (زينات). معاً.: ذاك هو بيت سليمان العيسى... ازداد خفقان قلبي، وشعرت بأنه راح يفتح ذراعيه بشغف المحب؛ مستقبلاً إيانا نيابة عن صاحبه الذي غادره ولم يُتَح له الرجوع إليه... وحين وقفت السيارة توقف الزمن كله أمام التاريخ، وقد عقدت الدهشة ألسنتنا لروعة المكان ووقاره على بساطته... فالبيت صغير يتكون من غرف ثلاث عقدت عمرها على حجارة سوداء وقد زينتها شجيرات (حاكورة) تعانقها وتبادلها أطراف الحديث؛ شاهدة على عبقرية مبكرة ولدت في جوارها... وفي هذه الحال كانت الذكريات تساورني في اتجاهات شتى لم يقطعها إلا كلمات الود الفياض من سيدة اتكأت على عمرها المديد تشبه شاعرنا في صفاتها وصوتها؛ إنها أخته «نديمة» التي ملأت قلوبنا بأطياب الذكرى عن أخيها الشاعر الذي نهضت الرؤى والمشاعر حوله دفعة واحدة، وأخذت تتجدد بتقاطر أبناء العمومة والأخوال لينضموا إلى السيدة الفاضلة نديمة... التي راحت تقص علينا حكاية طفولة عامرة بالمحبة والدفء؛ وكانت تحرص على استرجاع الماضي الجميل، وعدم نسيان أي جزء مهما كان صغيراً... ثم قَصَّت علينا حكاية مقام الخضر على شاطئ السويدية الذي كان يذهب إليه أخوها سليمان برفقة أبيه وأسرتها، فزادتنا شغفاً بالسير على طريقه والتماس بركاته(١)... وهكذا كان فقد غادرنا بيت الشاعر بعد ان افترشنا ترابه، وتيممنا صعيده، وشممنا رائحة أشجاره العطرة وعشنا حالة الزهو في رحابة...

وما هو إلا نحو ساعة حتى كنا في السويدية نشارف شاطئها الأبيض، وقد انتصب إلى جواره بكل هيبة ووقار مقام الخضر بقبته البيضاء، والناس يتقاطرون إليه لينالوا حظهم من التبريك الذي أصابنا منه نصيب؛ مثلما انتشينا بمرأى البحر الذي تتمازج فيه الألوان، وقد حضنتها الأمواج التي يحنو بعضها على بعض.

ولمَّا ودعتها تفطر قلبي شجىً على فراقها...

وإذا كانت هذه الزيارة علامة فارقة في حياتي حين حملتني على شوق المحبة الدائمة لواحد من مبدعي القرن العشرين؛ وألق الذكرى المتوثبة في النفس نحو شاعرنا العظيم فقد بسط لي القدر لقاءه غير مرة بعد رجوعه من اليمن وقد خلّف وراءه ثمانين سنة من الجهد والنضال، والتعب والهموم؛ عَوَّدها بالأمل وحب الوطن والأمة... ثم استقر في بيت اختاره في ضاحية دُمَّر؛ من مدينة دمشق، وفَّر له الهدوء والراحة، بعيداً عن ضوضاء المدينة. وقد حظيت بتكريم شاعرنا في اتحاد الكتاب العرب بوصفه أحد مؤسسيه، وعضواً في اللجنة التحضيرية؛ ثم عضواً في أول مكتب تنفيذي له في العام (١٩٦٩م)... كان يدهش مشاهده بطلته المهيبة وقد ازدادت مع تقدم العمر اكتمالاً ووقاراً.. وتوقَّد ذهن وذاكرة؛ إذ كان يعيد على جليسه جملة من الأشعار القديمة؛ ويحدثه عن ذكرياته البعيدة. وحين يتناول حديث العروبة تشرئب عيناه على الحلم الذي عاش من أجله. وهو الحلم الذي أورثه أولاده (معن وغيلان وبادية) والأجيال بعده لئلا ينسوه؛ ويبقوا عليه جذوة ملتهبة تحرق كل من يعبث... وقد سمعت هذا الأمر غير مرة في زياراتي له في بيته؛ وغالباً ما كانت برفقة بعض الكتاب ومنهم الدكتور الشاعر نزار بني المرجة والشاعرة فادية غيبور؛ والشاعر عبد القادر الحصني... والدكتور راتب سكر وغيرهم... وفي إحداها جرى لقاء تلفزيوني تجاذبنا فيه أطراف الحديث عن شاعرنا المبدع... على حين كان يتدفق بحديث الذكريات وكأنها حاضرة أمامه... وتراه يتوقف عند العمل الجليل الذي تقدمه زوجته الدكتورة ملكة أبيض وكأنها نسيت أنها أكاديمية؛ إذ رأت أن مهمة الزوجة أجل وأعظم مع سليمان العيسى من المهمة الأكاديمية...

ويأبى القدر إلا أن يقرب الناس؛ فقد أخذ جسمه يتحامل على الأوجاع والآلام التي أجبرته على الدخول إلى المشفى غير مرة... وفي هذا المقام لا يمكنني نسيان عيادته في مشفى (العربي) برفقة بعض الأصدقاء مثل الدكتور نزار بني المرجة والقاص باسم عبدو وغيرهما... وهناك وَجَدنا الدكتورة ملكة وابنته الدكتورة بادية والصديق العزيز الدكتور حيدر اليازجي... وما هي إلا لحظات حتى جاء الدكتور وائل الحلقي. وكان وزيراً للصحة، آنذاك. فنعمنا جميعاً بلقاء الشاعر الذي كان ينظر إلينا بكثير من الحب والدفء... وكان اللقاء غنياً بسيرة الشاعر العطرة... ثم توالت اللقاءات في مشفى الأسد الجامعي إلى أن كان اللقاء الأخير معه مسجًى، وقد ارتقت روحه إلى بارئها في ليلة الجمعة يوم ٢٠١٣/٨/٩ ثم وَدَّع دمشق الوداع الأخير يوم استقبلته مقبرة الشيخ رسلان في باب شرقي في (الأحد ٢٠١٣/٨/١١م) فاستقر جدثه الطاهر هادئاً؛ وأخذت الأقلام تحدو روحه الطاهرة؛ وتعطر حبر الحديث عنه...

١-انظر النعيرية قريتي ٢٢٨ . ٢٣٣ وما قاله الشاعر عن حكايته في زيارته لمقام الخضر.

من إصدارات الشاعر الكبير سليمان العيسى

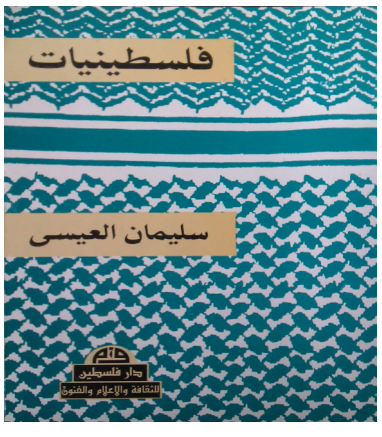

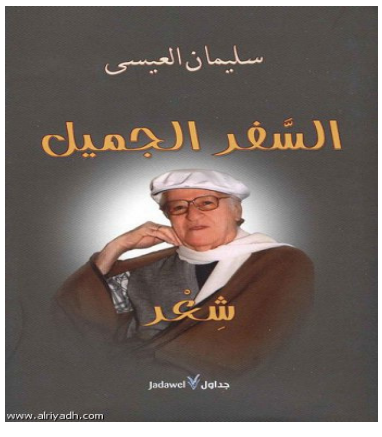

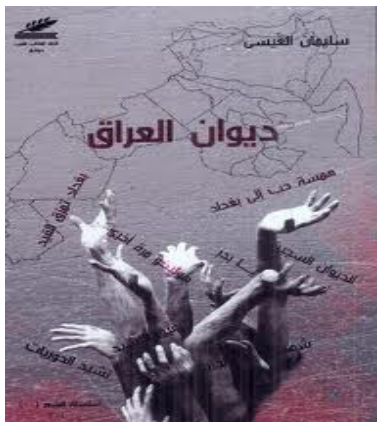

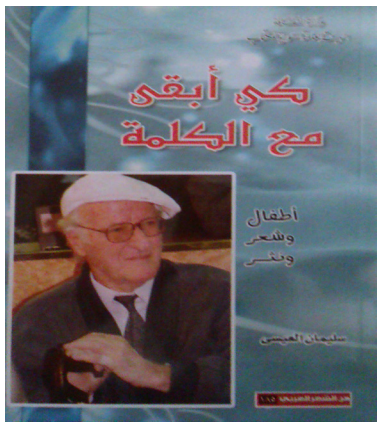

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول: د.حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب
مدير التحرير: عياد عيد

رئيس التحرير: د.نزار بني المرجة
المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
محمود حامد - د.عيسى الشمّاس
نبيل نوفل - رياض طبرة